حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٨ (عدد إبريل – يونيه ٢٠٢٠)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

أفعال الكلام: دراسة تداولية في همس الجنون

د/ منار علي محمد سعيد*

مدرس علم اللغة – كلية الاداب- الوادي الجديد

المستخلص

يتميَّز الفكر اللسانيّ الحديث بعامَّة، واللّسانيّ النَّصِّيّ بخاصَّة بحركةٍ متجدِّدةٍ من خلال تبلور مفاهيمه، والإسهامات التَّطبيقيَّة في ميدان توصيف النّصوص؛ فقد بات جليًّا قيام لسانيَّات النَّص وتحليل الخِطاب بتكسير حدود الجملة، وتجاوز دلالتها إلى بنية النَّص في التَّواصل، كما فتحت آفاق الدَّرس على مستوى يجاوز النَّص- وهو مستوى الخطاب- الذي ينفتح درسه على علومٍ غير لُغويَّة تجعل من منظورات تحليل الخطاب علمًا متعدِّد التَّخصُّصات، والدِّراسة -التي نحن بصددها- جاءت بعنوان: (أفعال الكلام: دراسة تداوليَّة في همس الجنون)، تعتمد الدِّراسة المنهجَ الوصفيّ التَّحليليّ، وآثرتُ اختيارَ عملٍ أدبي لأديبنا الكبير نجيب محفوظ وهى مجموعته القصصيَّة (همس الجنون)، و قد تناولت فيها تحليلا تفصيليًّا لأفعال الكلام في قِصَّة (الشر المعبود) التي تقع ضمن هذه المجموعة القصصيَّة.

والأفعال الكلاميَّة – موضوع هذه الدِّراسَة- هى ما يفعله المتكلّمون باللُّغةِ من إنجاز، وتبليغ ، وتأثير، وقد انبثقت من المقاربات التَّداوليَّة، وتتّضح أهميَّتها في تحليل اللُّغة قيد الاستعمال، لذلك يسهم كل من المتكلّم والمخاطب في تحديد أبعاد العمل المنوط بهما لأجل توصيله إلى القارئ؛ لذا تناولت الدراسة التَّحليل التَّفصيليّ للأفعال الكلاميَّة المتضمنة في (همس الجنون) وبالتّحديد في قصَّة (الشر المعبود) حيث اعتمدت الأخيرة على الكثير من المعاني الحرفيَّة والمعاني المستلزمة (أو معنى المعنى كما أسماه الجرجانيّ)، واعتمدت كذلك على الحوار الذي يُعَدّ أحد أهم عناصر نظريَّة الأفعال الكلاميَّة، ولما له من دورٍ فاعل في إظهار عناصر التَّواصل، كما تفتح الوظائف الإنجازية التي تحملها هذه الأفعال الكلاميَّة مغاليق بعض المعاني المبهمة.

اعتمدت هذه الدراسة على عدد من الدراسات والمراجع التي تناولت التَّداوليات وتحليل الخطاب، وانقسمت بين يديَّ إلى مبحثين؛ الأوَّل: تناول التَّحليل التَّفصيليّ للأفعال الكلاميَّة في الشرِّ المعبود، وتناول الثَّاني السِّياق التَّداوليّ ودوره في عمليَّة التَّواصل من خلال رصد الاتّساق داخل نصّ القصَّة، وكذا من خلال رصد أسباب التَّماسك خارج النصّ.

الكلمات المفتاحية: التَّداوليَّة – أفعال الكلام – نجيب محفوظ- همس الجنون - الشرّ المعبود .

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢٠.

مُقدِّمَة:

يعنى الاتّجاه التَّداوليّ بدراسة عَلاقة اللُّغَة بمستَعمِليها، حيث إنَّ التَّدَاوليَّة تهتمّ باللُّغَة قيْد الاستِعْمَال، كما تهتمّ كذلِكَ بكيفيَّة استِغلال السِّيَاق، والعَلامَات اللُّغَويَّة المُخْتَلِفَة التِي تخلق مِنَ الخِطَاب حدثًا تواصُلِيًّا نَاجِحًا.

وتُعَدُّ أفعال الكلام أحَد أهمّ المَفَاهِيم الَّتِي أسَّسَهَا أصحاب الاتّجاه التَّداوليّ بوصفِهِ إطارًا إبستمولوجيًّا في اللّسانيَّات الحَديثَة. فاللُّغَة لا تنْحَصرُ وظيفتَها فِي مجرَّد نَقْل الأفْكَار، أو الأخْبَار، أو وصف الوَقَائِع والأحداث، وإنَّمَا تتضمَّنُ أفْعَالًا إنْجَازِيَّة تفيد تَحَقُّق ما تَحمله اللُّغَة من دَلالات عِدَّة، لِذَا كَانَ البَحْث فِي (الأفْعَال الكَلاميَّة) يُعَدُّ بحثًا فِي أحَد أهمّ مرتَكَزات، وأسس الفِكر التَّداوليّ، الذي يهتمّ في المقام الأوَّل بتحليل اللُّغَة قيْد الاستِعمال؛ فيسهم بذلِكَ كلٌّ من المُتَكَلِّم والمُخَاطَب في تحديد أبعاد الدَّور المنوط بهما بهدَف توصيل الدَّلالة إلى القارئ، كما يُسْهِم السِّيَاق المقامِيّ في تخصيص الدَّلالة، وتقوم الوظيفة الإنْجازيَّة بإيضاح بعض المعانِي المُبْهَمة.

أسباب اختيار الموضوع:

اختارت الباحثة هذا العنوان، لِمَا لأفعال الكلام من أثرٍ بالِغ في البَحْثِ اللُّغويّ اللّسانيّ المعاصِر، فقد أولت تِلكَ نظريَّة الأفعال الكلاميَّة أهمِّيَّة عُظْمَى للأفْعَال ذاتَ الصِّلَة الوثِيقة بالمجتمع التي تُعَدُّ أفعالًا منجزة مِن قِبل الإنسان حَال نطقه بهَا في سِيَاقَات مُحَدَّدة بطريقةٍ تجعَلنا لَا نبالِغُ مطلقًا إذا قُلنَا بأنَّ اللُّغة منظومة متكَامِلة تتكفَّل بتحويل الأقوال إلى أفْعَال حال ذكرها ضِمن سِياقٍ مقامِيّ يسمحُ لها بذلِك.

أمَّا عن اختِيار إحدى المجموعات القصصيَّة للروائيّ العالميّ (نجيب محفوظ) فذلِك لمَا لمسَتْه الباحِثَة مِن قلَّة البحوث التي تلتفِت إلى أعمال الكاتِب القَصصِيَّة لُغَويًّا، ونقديًّا، ولعلَّ ذلك يرجِعُ إلى اهتمامِهم بأعمالِه الرِّوائيَّة العَالميَّة، كمَا أنَّ قِصَّة (الشَّرّ المعبود) – التي نحن بصدد تحليلها تحليلا تفصيليًّا والتي تقع ضمن المجموعة القصصيَّة (همس الجنون) - اعتمدت فِي المقام الأوَّل على الحِوار، وهو العنصُر الأكثر أهميَّة في هذه النَّظريَّة، لمَا له من دورٍ فاعِل في إظْهَار عناصِر التَّواصُل، ولعلَّ هذه الورقة البحثيَّة تكونُ إنصافًا لتجربة الكاتِب القَصَصيَّة الرَّائِدة، والنَّظر إليْهَا وقِراءتِها بحثِيًّا بعيدًا عن سحر وتفرُّد رواياته المَحْفُوظيَّة، كما أنَّ الحاجة العِلميَّة ماسَّة لتناول ظاهِرة الأفعال الكَلاميَّة من وجهة النَّظر اللّسانيَّة بعيدًا عن المفاهِيم والدِّراسات الفلسفيَّة والمنطقِيَّة.

اعتمدت الورقة البحثيَّة على المنهج الوصْفيّ التَّحليليّ فِي استِقراء ووصفِ وتحليل الأفعال الكلاميَّة في القصَّة – قيْدِ الدِّراسة – كما اهتمَّت بالجانب الإحصائيّ في استنتاج ورصدِ النتائج.

تَهدف هذه الورقة البَحثِيَّة إلى قراءة (همس الجنون) للأديب العالميّ نجيب محفوظ قراءة تداوليَّة، مع استِقراء ورصْدِ وتحليل الأفعال الكلاميَّة الواردة في القِصَّة القصيرة المعنونة بـ (الشَّرّ المعبود) في ضوء الاتّجاه التَّداوليّ الذي أرسى دعائمه (أوستين)، ونهض، وتطوَّر على يد (سيرل) و(جرايس)، وقد وقعَ اختِيار الباحثة على هذه المجموعة القصصيَّة بالتَّحديد لما تمثّله أعمال الكاتِب من مصادر لُغَويَّة ثريَّة، تُعَدُّ مَنْهَلًا علميًّا، ومعْرِفيًّا، ولُغَويًّا، وثَقافِيًّا، ومعينًا دَلاليًّا لا ينْضَب.

كَمَا أنَّ ثراء النَّص المحفوظيّ لُغويًّا، وثقافِيًّا، واجتِماعيًّا جعل أعماله قابلة لعِدَّة تأويلات ممكِنة، فنصوصه تثيرُ العديدَ من التَّسَاؤلاتِ في أذهَان القُرَّاء، وتربطُ بين شبكَاتٍ من العَلاقات التِي تؤدِّي دَلالات عَميقةٍ لتُعطِيَ ثرَاءً إيحَائِيًّا، وهو مَا يعدُّ أحد أهمّ صعوبات البحث.

يبْدَأ البحث المَوْسُوم بـ (أفعال الكلام: دِرَاسَة تَداوليَّة في همس الجنون) بتَعريف الأفعال الكلاميَّة، ثمَّ عرض لفنِّ القِصَّة القَصِيرةِ عِنْدَ (نَجيب مَحْفُوظ)، بعدَها نعرِضُ لمَجموعَتِه القَصَصيَّة قيد الدراسة، مع التَّطرُّق لعنواناتِ (نجيب محفوظ) الدَّقيقة، واختياراتِه الموفَّقة تحتَ عُنْوَان سيميائيَّة (همس الجنون)، ثمّ عرض لملخَّص سَريع لأهمِّ أحداثِ (الشرّ المعبود) التي تمَّ انتقاؤها لتحليلها تحليلا مفصَّلا، بعدهَا يتناولُ البحث الشّقَّ التّطبيقيّ التَّحليليّ للأفعال الكَلاميَّةِ الواردةِ في القِصَّة متبوعًا برصدِ أثرِ السِّياق التَّداوليِّ، ودورِه فِي عمليّةِ التَّواصُل.

أفعال الكلام:

وسنبدأ بتَعريف التَّداوليَّة باعتبارهَا المنطلق، والمرتكَز التي تُعَوِّلُ عليه نظريَّة (الأفعال الكلاميَّة)

فالتَّداوليَّة: "دراسَة المَعْنى الذي يقصِدُه المُتكلِّم"[١] وهذا يعني أنَّها تختصّ بدراسةِ المعنى كما يوصِّله المُرسِل (الكَاتِب أو المُتَكلِّم)، ويفسِّره المتلقّي (القَارِىء أو المُسْتَمِع)، لذلكَ فهى ترتبطُ بتحليلِ ما يعنيه المتكلّمون بألفاظِهم، أكثر مِن ارتباطِهَا بما تعنيه هذه الألفاظ بمُفْردِها بعيدًا عن سياقاتِها وقَائِليهَا. وعرَّفهَا (يول) كَذلكَ بأنَّها: "دِراسَة كيفيَّة إيصَال أكثر ممَّا يُقَال"، أو مَا عبَّر عنه بقولِه: "درَاسَة المَعْنَى غيْر المَرئِيّ (Invisible meaning)[٢].

وهو مَا يؤكّدُ أنَّ التَّدَاوليَّة تَسْعَى إلى بَيان الكَيفيَّةِ الّتي يَصِلُ مِن خلالِهَا المتلقُّون إلى رصدِ استدلالات واستنتاجَات حولَ مَا يُقَال للوصولِ إلى تفسِيرِ المَعْنَى الذِي يقصدُه المُرسِل. يمكنُنا القول إذن بأنَّ: التَّداوليَّة تعني إدرَاك قدر كَبير مِمّا لم يتمّ قوله أو كتابته عَلى أنَّه جزء مهمّ ممَّا يُريد المُرسِل إيصاله إلى المتَلقّي، أو بعبارةٍ أكثر وضُوحًا إدراك مَالمْ يُقل، ومَالم يُكتَب.

تدرس التَّداوليَّة الظَّواهر اللُّغويَّة فِي مجال الاسْتعمال، ويتعرَّف على القدرات الإنسانيَّة للتَّواصُل اللُّغويّ، ومن هُنَا تكون جديرة بأن تُسَمَّى بعلم الاستِعمال اللُّغويّ[٣] فهى بهذا المعنى لا تعدُّ علمًا لُغَوِيًّا مَحْضًا؛ بل هو علمٌ يدمجُ مشاريعَ معرفيَّة متعدِّدة لدراسةِ وتفسيرِ ظاهرةِ التَّواصل اللُّغويّ.

وتُعدُّ الأفعال الكلاميَّة أحد أهمّ مجالات التَّدَاوليَّة التي تركّز بدورها على عَلاقة النَّص بالسِّياق التَّواصُلِيّ فتهتمّ اهتمامًا بالغًا بوظيفةِ الأفعالِ ومقصدِيَّتها، وصولًا لفَهم العَلاقات بين المتكلّم والمتلقّي ضِمن سِياق النَّص.

وتحمل الأفعال الكَلاميَّة قِيمًا تأثيريَّة وإنجازيَّة، حيثُ تتجاوز هذه الأفْعال استعمالَ اللُّغةِ إلى الإنجاز؛ فالفعل اللُّغويّ هُو: كُلّ مَلفُوظ يَقوم على نظامٍ شَكْلِيّ دَلاليّ، إنْجَازِيّ، تَأثِيريّ، كما يُعَدُّ كذلك نشاطًا ماديًّا نَحْوِيًّا يتوسَّلُ أفعالًا قولِيَّة لتَحقيق أغراض إنْجَازِيَّة (كالطَّلب، والأمْر، والوَعْدِ، والوَعِيد.....)، وغَايات تأثيريَّة تتعلّق بردُود فِعل المُتَلقّي (كالقَبول، والرَّفض)، ليَصِل فِي نِهَايَة المَطاف إلى هَدَفِه التَّأثيريّ فيكون ذا تأثِير فِي المُخَاطَب اجْتِمَاعيًّا، أو مُؤسَّساتيًّا، ومِن ثَمَّ إنْجَاز شَيء مَا[٤].

واللُّغة العربيَّة كغيرِهَا من اللُّغات الطَّبيعيَّة، تشتمِلُ عَلى طائِفَةٍ مِنَ الصِّيَغِ والأدَوات الّتي يستعمِلها المُتكلّم للدَّلالة على القوَّة الإنجازيَّة التي يريدُ تضمينها كلامه؛ كالتَّقرير، والاستِفهام، والتَّمَنِّي، والإخبار، والنَّفْى، والإثبات، والطَّلب ، والتَّرَجِّي.[٥]

وجديرٌ بالذّكر أنَّ ظاهِرة الأفعال الكلاميَّة قد دُرسَت فِي تُراثِنَا اللُّغَويّ، والأدَبيّ من قبل عِدَّة طوائِف، ضمن (علم المعانِي) مندرجة تحت باب (الخبر والإنشاء)، غير أنَّ البحث

فِيها لم يكُن مقصودًا لِذاتِه، فكَثيرًا ما قُصِد به غيره، فأصبَحت وَسِيلة لا غَاية، وصَارت مدخلًا لفَهم علومٍ أُخْرى غيْر لُغَوِيَّة.(٦)

انطلقَ (أوستين) من فكرة أنَّ اللُّغة هى استعمال، وإنجاز لمجموعةٍ من الأفْعَال اللُّغويَّة، فقسَّم الفِعل الكلاميّ إلى أقسامٍ ثلاثة:

فِعل القوْل، والفِعل المتضَمَّن في القول، والفِعل النَّاتِج عن القول.

(فِعل القول) ويراد به إطلاق الألفاظ في جملٍ مفيدة ذات بناءٍ نحويٍّ سليمٍ، وتحمِلُ دلالة ظاهريَّة تتوارد إلى الذّهن فور نطق أصواتها التي تنتظم في تركيبٍ نحويٍّ صحيح له معنى محدَّد.

(الفعل المتضمَّن فِي القول) أى المعنى الإضافيّ الذي يقدّمه الفِعل بجانب ما يؤدّيه الفعل اللفظيّ، فيحمل بذلك المعنى غرضًا إنجازيًّا، بحيثُ يُلزم المتكلّم نفسه أو متلقّيه بالقيام بفعلٍ ما من خلال أقواله؛ كالوعدِ والتحذير، والأمر، والنَّهى.

ويُشَكّل الفعل الإنجازيّ أساس النّظريَّة التّداوليَّة، حيثُ يُجَسِّد الجَانِب التَّواصُلِيّ الذي يرتبطُ بالقَصْد، والغَرَض، وهو ما حدا بـ (فان دايك) أن يربطَ بين الفِعل الإنجازيّ والسيميائيَّة، يقول: "فاستعمال اللغة ليس عملًا فرديًّا بل عمليَّة جماعيَّة تتمّ من خلال تفاعل الأفراد فيما بينهم"(٧) فالفعل الإنجازيّ يتطلّب متلقّيًا لتأويل الفِعل، وقدرة المُرسِل على تبليغ خطابه، والتَّعبير عن قصده لتحقيق التَّواصل تمامًا كالسيميائيَّة.

ثمَّ نأتي إلى الفعل النَّاتِج عن القول، وهو تلكَ الفِعْل النَّاتج عن إصدار سيلٍ من الأفعال القوليّة مصحوبة بقوى إنجازيَّة، ويُطلق عليه الفِعل التَّأثيريّ الذي يتسبَّب في الأثر الذي يُحدِثه الفِعل في نفس المتلقّي، كالإقناع، والإرشاد، والتَّضليل، والتَّخويف.

ثمَّ أعاد (سيرل) تقسيم الأفعال الكلاميَّة، ليميِّز بين أقسامٍ أربعة؛ هى: (فعل التَّلفُّظ (الصوتيّ، والتَّركيبي)) أو ما يسمّى بالدَّال اللفظيّ، و(الفعل القضويّ، الإحاليّ، والجملي)، و(الفعل الإنجازيّ)، و(الفعل التّأثيريّ).(٨)خلاصة القول أنّ الفِعلَ الكَلاميّ هو: التَّصرُّف، أو العمل الاجتِماعيّ، أو المؤسَّساتيّ الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ويرادُ به الإنجاز الذي يؤدِّيه المتكلّم بمجرَّد تلفُّظه بملفوظات معيَّنة(٩)

وهو "الوحدة الصُّغرى التي بفضلِها تحقّق اللُّغة فِعلا بعينه (أمر، طلب، تصريح، وعد.....) غايته تغيير حال المخاطبين.(١٠)؛ فالأفعال الكلاميَّة تحملُ طابعًا اجتماعيًّا يتحقَّق بمجرَّد التَّلفُّظ به من أجل إنجاح عمليَّة التَّواصُل.

ووظيفة اللُّغة الحقيقيَّة ليست إيصال الأفكَار والمعلومات، والتَّعبير عنهَا، بقدرِ مَا هى منظُومة متكامِلة تتكفّل بتحويلِ الأقوال التي تصدر عن الإنسان ضمن معطيات سياقيَّة، ومقاميَّة لتحوّلها إلى أفعال إنجازيَّة ذات صبغة اجتماعيَّة؛ فعندمَا يقول القاضِي مثلا: (فُتِحت الجلسة)، يكون قد أنجز فِعلًا كلاميًّا اجتماعيًّا حقيقيًّا هو (فتْح الجلسة)، وعندَما ننْصحُ أحدَهم بقولِنا: اجتهد وإلَّا ستندَم، ففعل الكلام هُنا هو إنتاج الجملة (التركيب) في حدِّ ذاتِه، والفعْل الإنْجازي هنا هو (التَّهديد، والوعِيد)، أمَّا الفِعل التَّأثيريّ يتعلَّقُ هما باستثارة الخوف لدى المتلقّي، أو إصراره على عدم الاجتهادِ، ومن ثمَّ العِناد، أو التَّصميم على التَّعلم والاجتهَاد، وهذه كلها ردود الأفعال التي تعد نتيجة للفِعل الإنجازيّ.

فن القِصَّة القصِيرة عند نجيب محفوظ

يعَدُّ فن القِصَّة القصِيرة من الفنون الّتِي لمْ تلقَ اهتِمامًا يليقُ بهِ مِن قِبَل النُّقَّاد؛ مما يبعثُ في النَّفس الشَّكَّ بانتقاصِهَا ورداءتِها رغم ما تنطوي عليه معظمها من جودةٍ، وأبعادٍ جماليَّة عِدَّة؛ وقد كان مُعظم النُّقَّاد يعدُّونها بديلًا شكليًّا للرِّوايَة نشأت تحت رايتِها، ولم تخرج من عباءتِهَا حتَّى الآن، ولتسليط مزيدٍ من الضَّوء على هذا الفنّ وجماليَّاته اللُّغويَّة آثرْتُ أن

تتناولَ دراستي بالتَّحليل قِصَّة قصيرة ضمن مجموعةٍ قصصيَّة لكاتِبٍ روائِيّ عالميّ لم يُلتَفَت إلى أعمالِه القَصصيَّة لانْشِغَال النُّقاد بمَحْفوظ نُوبل الرِّوائيّ المُبدِع بجلالِه وهيْمنةِ حضورِه.

ويتناول هذا العُنوان موقع القِصَّة القَصيرة فِي مُنْجَزات الكَاتِب الكَبير نَجيب مَحْفُوظ، فقد بدأ حياته قاصًّا في مجموعته الموسومة بـ (همس الجنون – ١٩٣٨م)، انقطعَ بعدَهَا ردَحًا من الزَّمن – قرابة الرّبع قرن- أنجزَ بعدَها ما يزيد عن خَمْس عشرةَ مجموعة قَصَصِيَّة، نذكُرُ منْهَا:

(دُنْيَا الله – ١٩٦٢م)، (بيْت سيِّئ السُّمْعَة – ١٩٦٥م)، (تَحتَ المَظلَّة – ١٩٦٩م)، خمَّارة القِطِّ الأسْود – ١٩٦٩م)، (حِكايَة بلا بداية ولا نِهاية – ١٩٧١م)، (الجَريمَة – ١٩٧٣م)، (الحُبّ فوْقَ هَضَبة الهَرم – ١٩٧٩م)، (الشَّيْطَان يَعِظ – ١٩٧٩م)، (رأيْتُ فيمَا يرى النَّائِم – ١٩٨٢م)، (التَّنظيم السِّرِّي – ١٩٨٤م)، (صباح الوَرْد- ١٩٨٧م)، (الفَجْر الكَاذِب – ١٩٩٠م)، (القَرَار الأخِير – ١٩٩٧م)، (صَدى النِّسْيَان – ١٩٩٨م)، (أحلام فَتْرة النَّقاهة - ٢٠٠٥م).

وهذا الإنتاجُ غير هيِّن إذا ما قورن بما أنجزَه بعض روَّاد وأعلام القِصَّة القَصِيرة، هذه الفَجْوة الزَّمنيَّة التي توقَّف فيها محفوظ عن كتابة القِصَّة القَصِيرة رُدِمَت بإنتاجه الرِّوائِيّ الَّذي أثْرَى تاريخه الأدبيّ بحضورٍ محفوظِيّ طاغٍ وتَفرُّد منقطِع النَّظير.

والجدير بالذِّكر أنَّ عالمَ محفوظ القَصَصيّ كما يبدو جليًّا فِي قَصصِه القَصِيرة لا يغاير محتواه محتوى تجاربه الرِّوائيَّة، فعلى رأس أولويَّاته تأتِي الهموم الواقعيَّة بتفاصِيلها الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة، وأبعادها الطَّبقيَّة، والاهتمام بالمجتمع المِصريّ وتحوُّلاته، والحضورالمهيْمِن للقاهِرَة – بل لحيّ الجماليَّة الذي وُلِد فيه الكاتِب[١١]

<u>سيميائيَّة (هَمْس الجنون)</u>

تعَدُّ المجموعة القصصِيَّة (همْس الجنون) التي نَحْنُ بصددِ دراسة أنموذج منها – تعدُّ باكورة أعمال نجيب محفوظ الّذي رصَدَ فِيهَا بشفافيَّة وصِدق بعضَ ظواهِر مجتمعِه بلغة عاليَة، وإبداع يُشَار إليهِ بالبَنان كظاهِرة أدبيَّة تستحِقُّ الدِّراسة.

اشتملت (همس الجنون) على ثمانٍ وعشرين قِصَّة قَصيرة تنوَّعت عنواناتهَا، مُعَوِّلًا في معظمِهَا على الرَّمزيَّة، مُرَكِزًا اهتمامه على همومِ الإنْسَان، ومشكلاتِه الصَّريحَة، وربَّمَا يتجاوز ذلِكَ إلى دلالات أشدّ عمقًا فيتناول سوء المصير البَشَريّ، وما ينتظرُ الإنْسَان من مصادفاتٍ توقِعه في شراكِهَا.[١٢]

بدأ مجموعته بقِصَّة تحملُ عنوان المجموعة القصَصِيَّة (همس الجنون)، ثمَّ تبعها بـ (الزَّيف)، فـ (الشَّريدة)، ثمَّ (خيانة في رسائِل)، (مِن مذكّرات شاب)، (الهذيان)، (يقظة مومياء)، (كيدَهُنّ)، (روض الفرج)، (هذا القرن)، (الجوع)، (بذلة الأسير)، (نحن رجال)، (الشر المعبود)، (الورقة المهلكة)، (ثمن السَّعادة)، (حلم ساعة)، (الثَّمن)، (نكث الأمومة)، (حياة للغير)، (مفترق الطرق)، (إصْلاح القبور)، (المرض المتبادَل)، (حياة مهرِّج)، (عبثٌ أرستقراطيّ)، (مرض طبيب)، (فلفل)، (صوت من العالم الآخر)

يُطِلّ علينا محفوظ فِي هذه المجموعةِ القَصَصِيّة من عوالم متَّسِعة ومتَعَدِّدة، يعدّ أبرزها عالم الوَاقِع بما يحمله من أوجاعٍ وهموم تعصِف باستقرار وسعادة النَّفس البشريَّة، فقد كان متأثرًا بالفِكر الفَلسَفِيّ، ذا وعي وإدراكٍ عميق لطبيعةِ مجتمعِه الذي نشأ به، ونما فيه إبداعه الأدبيّ، مستبصِرًا بالمُشكلات الواقعيَّة حامِلًا على عاتِقِه مَهَمَّة علاجِهَا.

كما تنوَّعت شخوصه، وأبطال قصصه تبعًا لذلك، فقدَّمهم لنا في همس الجنون بين المثقَّفين الذين شغلوا مساحة واسِعة من اهتمامِه، والبُسطاء ذوى الحظّ القليل من التَّعليم، والفلاحين، والأطبَّاء، والمرضى النَّفسيِّين، والأولياء أصحاب الكرامات، والشّيوخ الذين يراقِبون، ويتدَخَّلون في حياة الآخرين- كبطل قِصَّتنا- والمجانين المجاذيب، والخَائِنين، ووجوه تبدو عاديَّة، ولكنَّهَا ترتدِي أقنعة تخفي وراءَهَا الكثير.

كما نلحظ من قراءتِنا لقِصص (همس الجنون) عبقريَّة اختياره للأمكِنة، والموضوعات، ومصائر شخوصِه التي اختارها بعنايةٍ فائِقة، وهو يرمِي مِن وراء ذلك إبراز أفكاره التي تحملهَا قصصه القصيرة، ليوصلهَا للقارِيء بطريقةٍ تؤثِّرُ فيه، وتترك بصمةً وانطباعًا في ذهنه لا ينفكّ عنه بانتِهاء قراءته لهَا.

الشَّرّ المعبود

وفي السّطور التَّالية نحدِّد السِّياق العَام للقِصَّة قيد الدِّراسة نقِف قبلهَا وقفة دلاليَّة تتناول عنوان القِصَّة بالتَّحليل وإبراز جماليَّاتِه.

فالعُنوانُ هُويَّة النَّص، وبوابته التي يعبر منها المتلقي إلى متن النَّصّ، يختزِل فيه المؤلّف معاني ودلالات عدَّة تتعلَّق به، لذا يعدُّ العنوان أحد أهمّ عناصر النَّص الموازي للنَّص الأصلي؛ إذ يحتلّ الصَّدارة في الفضاء النَّصيّ للعمل الأدبيّ فيتمتَّع بأوَّليَّة التَّلقّي(١٣)

والعُنوان الذي اختارَه الأديب (نجيب محفوظ) لهذه القِصَّة القصيرة (الشَّرّ المعبود) ينُمُّ عن مخيّلة عميقةٍ ثريَّة بالمعانِي والدَّلالات المختبئة وراء اللفظتيْن؛ فنجد العنوان يتماسّ والجانبين النفسيّ والاجتماعيّ، يعبِّر عنهما كما نرى بدالّين، أوَّلهُمَا: (الشَّرّ) الذي يعبثُ بالقلوب والنُّفوس فيسكنها، ويتحكَّم بأفعالِهَا، ومن ثَمَّ مصائرهَا، كما أنَّه يكمُن في بعض النُّفوس كالشَّرر الذي ينتظر الفرصَة المواتيَة ليندفعَ مِن مكمنِهِ مُشْعِلًا مَا حولَه مِن قلوبٍ واهِنَة.

وثانيهمَا: (المَعْبُود) اللَّفظة الَّتِي تحمِلُ طابعًا اجتِماعيًّا عقَائِديًّا يوحِي بتمكُّن الشَّرّ مِن القلوب، وامتلاكه، وسيطرته عليْهَا، وتمسُّك البعض به، واعتناقِه حَدَّ العِبادَة.

ولعلَّ لُجوء الكَاتِب لمثل هذه العناوين في مجموعته القَصصيَّة عامَّة، وفي (الشرّ المعبود) خاصَّة يعدُّ حيلة فنِّيَّة يعَوِّلُ عليْها حالَ طرحِه للقضايَا الاجتماعيَّة – الَّتي ربَّمَا يراهَا شائِكة- في محاولةٍ جادَّة لحلّهَا.

وقد بدا استخدامه لهذه الحِيَل الفنيَّة بشكل أكثر وضوحًا في العنوان الرَّئيس (همْس الجُنون) الذي أعلنَ مِن خلالِه عن حريَّةِ شخوصِه بواسطة تقنية الجُنون التِي تكفلُ لهم البَوْح التِّلقائيّ الذي يرصد الواقِع بجرأة وأريحيَّة كإشارة البدءِ لطرح الحلول التي مِن شأنِهَا أن تُحدِثَ التَّغيير المأمول.

فالجُنون في الأدبِ عامَّة، وعند (نجيب محفوظ) بصفةٍ خاصَّة تقنية فنِّيَّة - يتدفَّق من خلالِهَا البوْح- تتجاوز الحدود والأطُر لتكشِفَ النِّقابَ للمتلقّين عن الزَّيْفِ المُحِيط بهم.(١٤)

ولتحقيق هذا الهدف الفنِّيّ بتلك التّقنيات الأدبيَّة جعل الكاتِب بطل قِصَّته شيخًا طاعِنًا في السِّن تلوح في عينيْهِ نظرةً حادَّة تهزأ من فِعل السّنين، بدا غريبًا في مقاطعة (خنوم) التي تجري فيها أحداث القِصَّة، واشتهَر فيها بانتشاره العَجيب بين النَّاس وحديثه، وجداله الذي يخلِّف وراءه أثرًا عميقًا يخلق في النّفوس ثورات لا تهدأ، أثارت حياة ذلك الشَّيخ وتصرُّفاته مخاوف حارس الأمن (رام) الذي قام بمراقبته، والقبض عليه ليمثُلَ أمام القاضِي (سومر) صاحب الخبرات والتَّجارب العِظام الذي يعملُ مخلِصًا صادِقًا لتطهير المقاطعة من كلِّ ما مِن شأنِه أن يُزعزعَ أمنِها واستِقرارهَا، ودار حوارًا طويلًا بينهما لاذ الشَّيخ الغريب في أكثره بالصَّمت بغير داعٍ مما أثار عجب وغضب القاضِي، ثمَّ اتَّهمه القَاضِي بالبَلَهِ

والخَرَف بعدما أخبره بنسيان اسمه جرَّاء موت أهله وذويه؛ فلم يعد هناك مَن يناديه، وأمام إصرار القاضي على معرفة ما يرمي إليه الشيخ من وراء أفعاله، أخبره الشَّيخ أنَّه يريد إصلاح الدنيا البشعة، فطمأنه القاضي بأنَّ هناك من يهب حياته لهذا العمل النبيل، وطلب إليه ألا يحمِّل شيخوخته ما لا طاقة لهَا به، ولكن الشيخ أصرَّ على إمهالِه لتحقيق غايته، وبيَّن للقاضِي وسائله التي سيعتمد عليها موضِّحًا تشخيصه للدَّاء، واكتِشاف الدَّواء، ولمَّا لم يجد القاضِي في عمله ما يستحقّ العقوبة أطلق سراحه؛ لينطلق الشيخ بعد ذلك بخطواتٍ ثابتة نحو تحقيق هدفه الأسمى، واستطاع في فترة وجيزة أنْ يستأثِرَ بالقلوب والعقول فتبعَه نفرٌ كثير، وجاءت النَّتائج مبهرة فسحقت الجريمة وهُزِم الشَّرّ، وأطلَّت السَّعادة بكلِّ أرجاء المقاطعة، وسعِد الجميع لبلوغ الغاية النبيلة التي أفنوا أعمارهم عبثًا في الوصُول إليهَا.

ولكن سرعان ما تثير هذه السَّعادة في نفوس الحكَّام قلقًا جديدًا، فقد وجدوا أنفسهم عاطلين، فثقُل على ظهورهم الفراغ، وشاهدوا بعيون جزعَة مجدهم ينهار، ونورهم يستحيل ظلامًا، وبادر حارس الأمن – فقد كان أكثر الحكَّام جرأة- وحدَّث أقرانه عن مخاوفِه من أن يستغنى عنهم الحاكِم، وكأنَّه بهذه المبادرة قد رفع صمامًا عن مرجلٍ يغلي ففاض كلٌّ بما في قلبه من وساوسَ ومخاوِف، وعندما اتَّفقت كلمتهم، أشرقت شمس اليوم التَّالِي وقد اختفى الشَّيخ الغريب تاركًا وراءه تساؤلات عِدَّة، واستمرَّت المقاطعة تضجُّ بالخير والاستقرار مخلِصة لذكراه، مما أثارَ غضب السَّادة الذين قاموا بدورهم بالموافقةِ على اقتِراح (رام) بجلبِ راقِصة فاتِنة، أراد حاكم مقاطعة (بتاح) أن ينفيهَا لما تُحدثه من تفريقٍ بين الأخ وأخيه، والزوج، وزوجه، فحقَّق ذلك العبقريّ فكرتَه الخطيرة، وتابَعوا بأعينٍ مشرقة بالفرح ما آل إليه جوّ (خنوم) الهادِيء من شيطانيَّة عصَفَت بالسَّلام الذي كان يُخَيِّم على ربوعِه، لتستأنفَ عُصبة الحُكم جهادَها، مكافِحة ومناضِلة عن الخَيْر، والعَدَالةِ، والسَّلام.(١٥)

أفعال الكلام في الشَّرِّ المعبود:

ولأنَّ الأفعال الكلاميَّة تمثِّلُ سِمَةً واضِحَة في (الشَّرِّ المعبُود)؛ نتناوَلُ - في هذا الجُزء مِن الدِّراسة -بالتَّحليل الأفعال الكلاميَّة الوارِدة في هذه القِصَّة القصيرة، ومحاولة استِنطاقِها لبيان ما تحمله من معانٍ إنجازيَّة وتأثيريَّة، ورصدِ ما يصِل إلى القارِيء فور نطقه لهذه الملفوظات من معانٍ دالَّة على وقوع أفعالٍ حقيقيّة. وقد اشتملت عيِّنة الدِّراسة على أفعال تقريريَّة، وأخرى إنجازيَّة، نعرِضُها كالتَّالي:

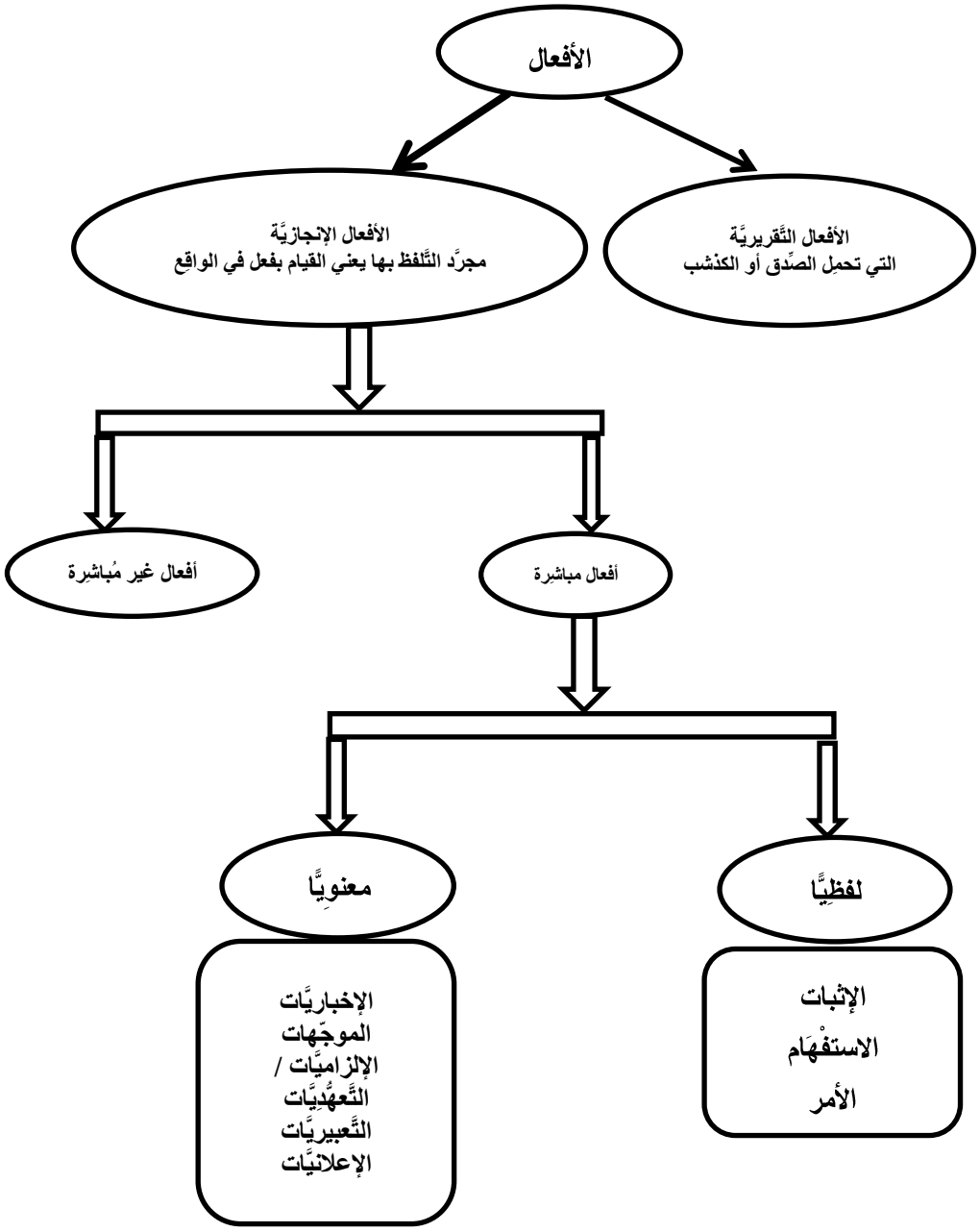

أمَّا عن الأفعال التَّقريريَّة التي تحتملُ الحكم عليهَا بالصِّدق أو الكذب؛ "وقد سمَّاهَا العرب الأساليب الخبريَّة، وهى أنَّ الكلام إذا احتملَ الصِّدق والكذب لذاته؛ بحيْثُ يصِحّ أن يقال لقائِله إنَّه صادِق أو كاذِب يسمَّى الكلام خبريًّا، والمرادُ بالصَّادِق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقِع[١٦].

وقد لاحظت الباحثة عند كلِّ قراءة للقِصَّة قصدَ تحليلهَا – لاحظت أنَّ تلك الأقوال الوصفيَّة التَّقريريَّة لا يمكن تصنيفهَا باعتبار احتماليَّة الصِّدق، والكذب، لأنَّها في السِّياق القصَصِيّ أقوال صادِقة يرصدهَا الكَاتِب فِي واقعه القصصيّ حقيقة كان أو خيالًا، فلا يمكن

بحالٍ تمييزهَا عن الإخباريَّات في الأفعال الإنجازيَّة المباشِرة، لذا آثرتُ التَّركيزَ على الأفعال الإنجازيَّة في صورتيْهَا (المُباشِرة، وغير المُباشِرة).

وقبلَ الشّروع في تحليل الأفعال الكلاميَّة سأعرِّج سريعًا على القيمة الإنجازيَّة في عنوان القصَّة (الشَّر المعْبود)، فبمجرَّد النُّطق به تمَّ إنجاز فعل العبادة للشَّرّ؛ ولأنَّ العبادةَ ترتبطُ بالإله، فقد استعاضَ عنه الكاتِب بالشَّرِّ ليصبحَ العنوان مركَزا ذا عمقٍ فلسفيّ يوحِي بالأحداثِ والإشكاليَّات التي يودُّ الكاتِب رصدَها في مجتمعه.

ومن أمثِلة الأفعال الإنجازيَّة المباشرة لفظًا، والتي تؤدي دلالات عِدَّة كالتَّصريح، والوصف، والإثبات:

التصريح: واتَّضحت هذه الدّلالة في قول الكاتِب حكاية عن الحُكَّام (رجال المقاطَعة)، حيثُ صرَّح وأعلن استعدادَهم للإصْلاح، ومكافحة بلايا المُجتمع، وأدْرَانه بعزيمةٍ وإصْرار؛ يقول: **"وشمَّر للإصلاح رجال المقاطعة المسؤولون، وعلى رأسهم القاضي "سومر"، وحارس الأمن "رام"، والطَّبيب "حتب"، وكافحوا الجريمة والعيوب مكافحة شديدة صارت مضرب الأمثال على الجِهادِ، والصِّدق، والعزم"** (١٧)

الوصف: وبدا ذلك المعنى واضِحًا في وصفِ الكاتِب للشَّيخ الغريب بطل قِصَّتِه، يقول: **"كَان شَيْخًا طاعِنًا فِي السِّنّ حَليق الرَّأس والذّقن كعادةِ الكَهَنَة المصريين، وطويل القامة نحِيل الجِسم، تلوحُ فِي عينيْهِ نظرةٌ حادَّة تهْزأ مِن فِعل السِّنين، يشعُّ منها نورُ الفِطنة والحِكمة"**(١٨) حيثُ يصفه بالشَّيخ الكبير الطَّاعن في السِّنّ، بل ويتطرَّق إلى وصفِه الشَّكليّ الذي ربطه بعادات الكَهنة المصريِّين، ثمَّ يُحلّلُ نظرته تحليلًا فلسَفِيًّا وكأنَّه من طولِ عهده بالدُّنيا تبدو في عينيْهِ بَوَادِرَ الخبرةِ، والحكمةِ، والدُّربة، والمِران.

الإثبات: وورد هذا الغرض الدلاليّ في ستَّة مواضِع من القِصَّة، على النَّحو التَّالي:

لتأكيدِ الشَّيخ وإثباتِه للقاضِي نسيانَ اسمه يقول: **"بلى ياسيِّدِي نسيته"**(١٩) ليحيلَ بالضَّمير إلى اسمِه، وإمعانًا فِي الإثبَات أوردَ الشَّيخُ الحُجَّة وساق البرهان على نسيانِه هذا بقولِه: **"لا أحد يدعونِي، لقد ماتَ أهلي وذويّ، ولبثتُ في الدُّنيا دهْرًا طويلًا لا يدعونِي أحد، ولا يناديني إنسان، وكانَ رأسِي مفعمًا بالأفكار والأحلام فنسيت اسمي."**(٢٠)

ووردت هذه الدَّلالة أيضًا فِي محاولةِ الشَّيخ إقناعَ القاضِي بهدفِه، ووسائِله في تحقيق هذا الهدف الذي يتلخَّص فِي تغيير البشاعَة التي أصابت وجهَ الدُّنيا، يقول: **"إنَّ الدَّاء كمينٌ في مخبئه آمِنا؛ وهم لا يكترثون إلا لآثاره. وقد أنعمتُ النَّظر فوجدتُ أنَّ المعدة أصلا بلاء هذه المقاطعة، وجدت كثيرين لا يستطيعونَ أن يملأوا منها فراغًا فيعيوا جوعًا، وآخرين لا يتركونَ بهَا فراغًا فيهلكون نهمًا، ومن التَّجاذبِ والتَّنافر بين هاتيْن المعدتيْن يحدثُ السَّلب والنَّهب والقتل. فالدَّاء بيِّن والدَّواء بيِّن"** فبهذا الردّ حاول الشَّيخ إثبات هدفه النَّبيل فِي ترسِيخ الأمن في مقاطعة (خنوم)، وعرض وسائِله لتحقيق هذا الغرض، وكذا إثبات عدم اكتراث رجال المقاطعة المنوطين بهذا العمل، وتقصيرهم عن تحقيقه.

ولإثبات فكرته الشَّيطانيَّة لإعادة الحياة كما كانت عليه في (خنوم)؛ قال (رام): **"أعرفُ في مقاطعة "بتَّاح" راقِصةً فاتِنة أوْلتها الآلهة حُسْنًا لا يقاوَم. فلماذا لا نستعيرُهَا أشهُرًا؟ وإنِّي أعلم أنَّ حاكِم الإقليم راغِب في نفيهَا لما يهيّج جمالها من الفِتنة والملاحة"**(٢١) ليُقنِعَ بقية رجال المقاطعة بالآليَّة التي يتسنَّى لهم من خلالِهَا تقويض النِّظام الذي أرسى دعائمه الشَّيخ الغريب، وإعادة الحياة الشيطانيَّة إلى المقاطعةِ الهادئة.

وإثباتًا لنجاح فكرة (رام) الشّريرة يقول الكاتِب: **"وحقَّق ذلك العبقريّ فكرته الخطيرة"**(٢٢) ليجني عُصبة الحكم ثمرتهَا، ويتابعوا عن كثب بنيان النِّظام في المقاطعة

يتهَاوى حجرًا على حجر، فقد نجَحَت فكرته هذه فِي أنْ تَعْصِفَ بالسَّلام الذي خيَّم على ربوع (خنوم)، ليعودَ بعدَها الحكَّام بكامِل نشاطِهم يكافحون، ويناضِلون عن الخير، والعدالةِ، والسَّلام.

أمَّا النَّوع الثَّاني- الذي سأعوِّلُ عليه في هذه الدِّراسَة- هى الأفعال التي تساوي عند التَّلفُّظ بها تحقيق فعلٍ في الواقِع، وهِى الَّتِي يُسَمّيها (أوستين) الأقوال الإنشائيَّة؛ فهى لا تَصِف، ولا تُخبر، ولا تخضع لمعيار الصَّواب، والخطأ، وستعمَد الدِّراسة فِي التَّحليل على أصناف الأفعال الكلاميَّة – كما حدَّدها (سيرل) - وهى: (الإخباريَّات – الموجِّهات – الالزاميَّات "التَّعهُّدِيَّات" - التَّعبيريَّات – الإعلانيَّات)، وفي كُلٍّ قسم منها سنتناوَل كلّ فعل على حِدة من خلال تحليل الفِعل الكلاميّ المندرج تحت كُلّ قِسم على النَّحو التَّالي:

- تحليل التَّركيب النَّحويّ.
- رصد العُنصر الإحَاليّ.
- القيمة الدَّلاليَّة.
- الفعل الإنجازيّ.

الإخباريَّات:

وهى تلك الأفعال اللُّغويَّة التي تلزم المتكلم بحقيقة الكلام المتحدَّث عنه، مما يعني أنَّهَا تنقل الواقِع كما هو.

ومن أمثلة الأفعال الكلاميَّة الإخباريَّة في (الشَّر المعْبود) ما يلِي:

استهلَّ محفوظ قِصَّته بقوله: **"قبل أنْ يستولي أوَّل ملك على عرش مِصر، كَان الوادي مقاطعات مُستقِلَّة لكلِّ واحدة إله، ودين، وحاكم، وقد اشتهرَت من بينِها مقاطعة (خَنُوم) لِما توفَّرَ لها من خصوبة الأرض واعتدال الجوّ وكثرة السكَّان".**(٢٣) وردت العِبارة السَّابِقة في مقدِّمة القِصَّة، وقد اشتملت على أفعال ثلاثة: (يستولي/اشتهرت/توفَّر)

تحليل التَّركيب النَّحْوِيّ: يستولي/ أوَّل ملك – اشتهرت/ مقاطعة خنوم – توفَّر للمقاطعة خصوبة الأرض، واعتِدال الجو ....

العناصر الإحاليَّة: أحال الكاتِب في الفِعل الثَّاني بالضَّمير في (اشتَهرت) إلى لفظةِ (مقاطعة خنوم) (إحالة بعديَّة)، وأحال بالضمير (ها) في (توفَّر لها) إلى سابق ، وهى (المقاطعة) أيضًا.

القيمة الدَّلاليَّة: دلالات السَّيطرة، والشّهرة، والكثرة على التَّرتيب.

الفِعل الإنجازيّ: دلالة الزَّمان المَاضِي، ووقوع أحداث القِصَّة في حُقْبَة زمنيَّة بعيدة، وشهرة المقاطعة التي شهدَت مجرى الأحداث وتمتُّع أهلها بجوِّهَا، وأرضها.

ويصِف محفوظ حال المقاطعة بقوله: **"ففسقَ بهَا المُتْرَفُونَ، وتضوَّر الفلاحونَ جُوعًا، وعَاثَ الأشْرَارُ فِي الأرْض فسَادًا، وفتَكَت الأمْرَاضُ والأوبئةُ بالضِّعافِ والبائِسِينَ"**(٢٤)

الأفعال الواردة في الفِقرة السَّابقة: فَسَق/ تَضوَّرَ / عَاثَ / فَتَكَت، تتضمَّن إحالات إلى متقدِّم، والفاعِل فيها على التَّرتيب: المُتْرَفُونَ – الفلَّاحُون – الأشْرار – الأمراضُ، أمَّا القِيمة الدّلاليَّة لهذه الأفعال فتتمَثَّل فِي آدائِها لمعانِيها المعجميَّة فتتمثَّل في: فسَق بها المترفونَ (ويقصد بهم الطَّبقَة الحاكمة) ليشيرَ إلى فسادِهم، وظلمِهم، وغيِّهم، ويشير الفِعل (تضوَّر) إلى شِدَّة جوع الفلاحين، وتدهور حالهم، ويدُلّ الفِعل (عاث) على النَّشر وبإسناده للأشرار أدَّى دلالة سيرِهم بالشرور، والآثام، والإفسادِ في كلّ خطوة من خُطوات حياتهم، وأدّي الفعل (فتك) معنى الهجوم، والسَّيطرة. أمَّا الأفعال الإنجازيّة فيربط في الفِعل الأوَّل (فسق) بين التَّرفِ وصناعة الفَساد، ثمَّ تأتِي الأفعال التَّالية كنتيجةٍ للأوَّل، فالفساد النَّواة التي يتردَّى

على أثرِها الفلاحون فتزدادُ حياتهم بؤسًا وشقاءً، وهى نقطة إنطلاق الأشرار إلى رحلتِهم، ليستمِرّ إلحاق الأذى بالبائسين والضّعفاء.

ومن أمثلة الأفعال الكلامية الإخباريَّة أيضًا: **"وفي أحد الأجيال التي مرَّت على تلك المقاطعة ظهر بها رجل غريب"** (٢٥) فالأفعال الكلاميَّة: مرَّت / ظهر. وقد أحال الفعل الأوَّل إلى سابق (الأجيال)، بينما أحال الفعل (ظهر) إلى متأخّر – إحالة بعديَّة - ليرفعَ الفاعل (رجل)، والقيمة الدَّلاليَّة تتمثَّل في مرور الزمن، وتعاقب الأجيال على المقاطعة، إلى أن انتهى الكاتِب إلى هذا الزَّمن الذي ظهر فيه بطل قِصَّتِه.

والمعنى الإنجازي هنا: وجود هذا الشَّيخ الغريب بطل القصة، في حقبة زمنية بعيدة مرَّت على مقاطعة (خنوم).

"فكان يغشى الأسواق، ويزور المعابد ويدعو نفسه إلى الحفلاتِ على غيْر معرفة بأصحابهَا، ويضع نفسَه فيمَا لا يعنِيه، فكان يُحادِثُ الأزواجَ عن زوجَاتِهم، والزَّوجات عن أزواجِهنّ، والآبَاء عن أبنائِهم، ويُجادِل السَّادة والنُّبلاء، ويُكلِّم الخدم والعبيد"(٢٦)

الأفعال: يغشى/يزور/يدعو/يضع/يحادث/يجادِل/ يكلّم، فاعِلها ضمير مستتِر يعود على (الشَّيخ) المذكور في العبارات السَّابقة، فالإحالات هنا قبليَّة تحيلُنا إلى بطل محفوظ (الغريب) الذي أبى إلَّا أن يصلِحَ الواقِع بدرءِ الشَّرِّ والمفاسِد.

وأمَّا المعاني الإنجازية التي تحمِلُهَا هذه الأفعال: فهى العزيمة، والإصرار على تحقيق الهدف مهما كلَّفه من وقتٍ، وجهدٍ لا يتناسب وشيخوخته، ودأبه في نشر عقيدته، وترسيخها في مجتمع تاه في غياهِب الشَّر.

وتتجلَّى الأفعال الكلاميَّة أيضًا في قوله: **"وكانَ القاضي "سُومر" رجلًا طاعِنًا في السِّنِّ عظيم التَّجارب؛ قضى أربعين عامًا من حياتِه الجليلة يُجاهِدُ جهَاد الأبطال تحت راية العدل والحقيقة، فأنفذَ القضاءَ في حيوات المئين من المُتَمرِّدين، وملأ السّجون بالآلاف من الأشرار والمجرمِين، وكان يعمَلُ صادِقا مخلِصًا على تطهير من أعداء السَّلام والطمأنينة"** (٢٧)

الأفعال: (قَضَى/أنْفَذَ/مَلأ/يعمل) تحيلُ جميعُها إلى (القاضي سومر) المذكور في بداية العبارة، إحالة قبلية، ويشير الفعل (قضى) دلاليًّا إلى خبرة القاضِي الطويلة في هذا الميدان، فقد أفنى عمره في غرس قيم العدل والحقّ، (فأنفذ) تدلّ على تحكُّم القضاء بعدله في حياة المتمرِّدين والخارجين على أسسه وقواعده، و(ملأ) التي تشير إلى أنَّ القاضي لم تأخذه الرَّأفة والهوادَة في أمرِ المُجرمِين، والأشرار فزَجَّ بهم إلى السّجون.

والمعنى الإنجازيّ يدور في فلكِ الوصْف، فهو يبيِّن مناقب القاضي، وخبرته في ترسيخ أواصرالحقّ والعَدالة، ومواقفه النبيلة المخلِصة، وضربه بيد من حديد على أيدي أعداء الأمن والسَّلام.

ونجد ذلك أيضا في قوله على لسان بطله حكاية عن رجال المقاطعة: **"إنَّهم يا سيِّدي يطاردُون الأشرار ويعالجون الأمراض، ويضمِّدون الجراح .. أما أنا فسبيلِي أن أقضِي على الدَّاء"** (٢٨)

في العِبارة السَّابِقة: (يطاردون/ يعالجون/يضمِّدون/أقضي) أفعال كلاميَّة، فاعلُها واو الجماعة التي تُحِيل إلى سابق هم(عصبة الحكم)، والفاعل في الفعل الأخير (أقضي) ضمير مستتِر وجوبًا تقديره (أنا) يُحيل إلى المتكلّم، وتحمِلُ هذه الأفعال قيمًا دلاليَّة تتمثَّل في مطاردة الشرِّ وأصحابه، وعلاج الأمراض المتفشِّية في المجتمع، وتضميد الجراح الغائرة، أمَّا الفعل (أقضي) فيفيد قطع دابر الشرِّ وأصل الدَّاء في المقاطعة، أمَّا القيمة الإنجازيَّة لهذه

الأفعال فتتضمَّن عقد المقارنة، وعرض البَون الشَّاسِع بين سبيل حكام المقاطعة في مواجهة الشَّر، وبين الآليَّة التي اتَّخذها الشَّيخ لمكافحته، فسبيله القَضاء على الدَّاء من منبته، وهدفهم تتبعه، ومحاربته.

ومن أمثلة الإخباريَّات قوله على لسان الشَّيخ الغريب: **"هذا قولهم يا سيِّدي، وما يقولونه إلَّا لأنَّه ينقصهم شيْء متَّعني الرَّبّ به: هو الإيمان به: هو الإيمان بالخير، إنَّهم لا يؤمِنون بالخير حقَّ الإيمان، ويجاهِدون في سبيله جهاد الآلات الصَّمَّاء التي لا تحسّ، ويعملون بالأجر وللجاه والمجد.. فإذا خلوا إلى أنفسهم تهالكُوا على ما يُجَاهِرون بمقتِه مِن الإثم. هذا شَأنهم يا سيِّدي"** (٢٩)

يستمِر الشَّيخ في إصراره على هدفه، ووصف رحلته، ومنهجيَّته في تحقيق مبتغاه ببيان سوء عمل، ونوايا (عصبة الحكم) فاستخدم الأفعال:

(يقولونه/ينقصهم/يؤمِنون/يجاهِدون/يعملون/خلوا/تهالكوا/يجاهرون) لتقومَ (واو الجماعة) اللاحقة بها بوظيفة الإحالة القبليَّة - إلى سابق- هو(حكَّام المقاطعة)، وتتضمَّن القيمة الإنجازيَّة معاني التَّفسير لترديدِهم قولتهِ/ السَّابقة بأنَّ (الشرَّ داءٌ لا دواءَ له)، والتَّعليل لذلك بضعفِ إيمانِهم، كما أنَّهم يُظهرون خلافَ ما يبطِنون، ويقولونَ ما لا يفعَلون، فإذا خلَوا إلى شياطينِهم انكبُّوا على مآثمهم يولُونَ قلوبهم، وعقولهم شطرَها.

"واتَّفقت كلمتهم .. وأشرقت الشَّمس ذات صَباح فإذا بالرَّجل الغريب قد اختَفى، وبحثَ عنه مريدُوه فِي كُلِّ مكان، وفتَّشوا عنه في كُلِّ بقعة من الإقليم فلم يَعْثُروا له على أثر" (٣٠)

ورد في العبارة السَّابقة الأفعال: (اتَّفقت/أشرقت/اختفى/بحث/فتَّشوا/يعثروا)، وتتضمَّن هذه الأفعال إحالات مختلِفة، والفاعِل فيها على التَّرتيب: كلمتهم، الشَّمس، ضمير مستتِر، مريدوه، واو الجماعة، وتتضمن قيمة دلاليَّة تدور فِي فلكِ التَّغيير الحادِث فورَ اتِّفاق عصبة الحكم، حيثُ ترتَّب على هذا الاتِّفاق اختلاف، وشتات سكَّان المقاطعة باختفاءِ الشَّيخ الغريب، ومن الجماليات التَّعبيرية ذلك التَّناقض اللفظيّ في قوله: **(وأشرقت الشَّمس ذات صَباح فإذا بالرَّجل الغريب قد اختَفى)** حيث قابلَ بين بداية العِبارة ونهايتها.

<u>الموجِّهَات:</u>

وهى تلك الأفعال اللُّغويَّة التي يدفعُ المتكلمُ السامعَ فيهَا للقِيام بفعلٍ ما، ويتَّضِح من استِقرائِنا لأمثلة الموجِّهَات في هذه القِصَّة ورود الأفعال فِي هذا الصَّدد بصيغة الأمر، كما يلي:

<u>وجَّه القاضي الشَّيخَ بقوله</u>: **"قُل ما اسمك"** (٣١) واشتمل الأمر (قُلْ) على ثلاثةِ أفعال، أوَّلُهَا الفعل القوليّ الذي يمثِّل نطق القاضي باللَّفظة، والثَّانِي الفعل الإنجازيّ الذي يعبِّر عن توجيه المُخاطَب(الشَّيخ الغريب)، والثَّالث: الفِعل التَّأثيريّ الذي يتضمَّن دلالة الغَضب، والثَّورة على مالا يقدر العَقل على استيعابه لمجانبته المنطِقيَّة، وهو نِسيان الشَّيْخ اسمه.

وفي قوله على لسان القاضِى (سومر): **"<u>اطمئِنّ أيُّهَا الشَّيخ وأرح نفسَك، ولا تحمِّل</u> شيخوختَك ما لا طاقة لها به من بلوغ هذا المَطْلَبِ العَسِير وغيرك عليه أقدر"**(٣٢) نجد الفعل الأوَّل (اطمئِنّ) جاء على صيغَة الأمر، واستخدمَ النَّهى فِي قولِه: (لا تُحمِّل)، لتحملَ دلالة التوجيه، والنُّصح، والإرشاد، أمَّا القيمة الإنجازيَّة فتتمثَّلُ في عرض سُبُل الرَّاحة والاطمئنان.

ويتمثَّل الفعل التَّأثيريّ فيما يترتَّب على فعل القول من إثناء للشَّيخ عن هدفِه، وإضعافِ قوَّته، وتثبيطِ هِمَّتِه، فالمطلب عسير، وهناك مَن هو منوط به، وشيخوخَة الرَّجُل تقف حائلًا أمام إنجازه.

وفي قولِه على لِسان الشَّيخ الغريب: **"نعم يا سيِّدي.. أمهلني وسوف ترى"** [٣٣]

الفِعل (أمهلْنِي) جاء على صيغة الأمر كعادة الموجّهات، وفاعله مستتر وجوبًا، والفعل الإنجازي: المتضمّن في الأمر بالانتظار، وإعطاءِ الفرصة، والمُهلةِ المُنَاسِبةِ ليثبتَ الشَّيخُ جدارَتَه، والقيمة التَّأثيريَّة: هِي الإصرار والتَّحدِّي، والدَّأب فِي العملِ على تحقيق الهدف.

ولمزيدٍ من الإصرار، والإيمان بالذَّات، وبالقدرة على إحداثِ التَّغيير؛ يلحُّ الشيخ فِي طلبه بقولِه: **"أنا مؤمِن حقًّا بالخَير، فدعْنِي أعملُ على طريقتِي وأمهلني رويْدًا.."**[٣٤]

دعني – أمهلني: أفعال أمر، وهما فعلان نطقِيَّان متمثّلان فِي تلفُّظهما، والفاعِل المقصود هنا هو الضمير المستتر وجوبًا الذي يحيلُنا إلى القاضِي (سومر)، والفعل الإنجازيّ يتمثّل فِي إعطائِه مزيدًا من الوقتِ والحريَّة ليتسنَّى له تحقيق ما يريد، أمَّا الدلالة التَّأثيريَّة فتتضمَّن الثِّقة المفرطة فِي الانتصار، والتَّأثير على القاضي ليرضخَ، ويذعن لطلبه، وهو ما حدث بالفعل.

واستخدم صيغة الأمر أيضًا فِي قوله على لسان (رام):**"انتظِروا خيرًا قريبًا"**[٣٥]

الفعل الكلاميّ: انتظروا/ فعل أمر وفاعله، ومفعوله: خيرًا.

االفعل الإنجازي: الأمر، يريد: اطمئنُّوا فالخير قادِم.

الفعل التَّأثيريّ: فرط ثقة رجال المقاطعة بخُطَّتهم التي تحقَّقت بالفِعل، لتخيِّم الأجواء الشَّيطانيَّة على المقاطعة ليعود كفاح عصبة الحكم عن العدالةِ، والحقّ، والسَّلام.

الالزاميَّات "التَّعهُّديَّات" :

وهى تلك الأفعال اللُّغويَّة التي تُلزم المتكلّم بفعلٍ أو بشيءٍ فِي المستقبَل، ولم يرد هذا النَّوع من الأفعالِ الكلاميَّة فِي سياق قِصَّة (الشَّرّ المعبود)، فلم يحتج الكَاتِب لإلزام شُخوصِه بالقِيام بشيءٍ فِي المُستقبل، ويبدو ذلك واضِحًا لأنَّ أحداث القِصَّة وقعت فِي المَاضِي.

التَّعبيريَّات

وهى: الأفعال اللُّغويَّة التي يعبِّر مِن خلالِها المتكلّم عَن مشاعره وسلوكِه، وقد تعدَّدت الدَّلالات السّلوكيَّة، فرصدتهَا الدِّراسة فِي المواضِع التَّالية من القِصَّة:

دلالة القلق والخوف في قوله: "وأثارت حياة الغريب مخاوف "رام" حارس الأمن فاتَّبعه كالظِّلّ، وراقبه عن كثب، وارتَاب في أمره فقبض عليه، وقدَّمه إلى القاضِي لينظرَ في شأنِه العجيب"[٣٦]

دلالة الدَّهشة والحيرة في قوله: "ولمَّا مثُلَ بين يديه الرَّجُل الغريب أخذه العجب واستولت عليه الحيرة، وساءَل نفسه عمَّا يرتكِبه هذا الشَّيخ الفانِي، ثمَّ سأله بصوته المتَّزِن، وهو يلقِي عليه نظره فاحِصة...."[٣٧]

دلالة الغضب في قوله: "فصمت الرَّجل ولم يجب، وهزَّ رأسه كأنَّه لا يريد أن يتكلَّم أو لا يدري ما يقُول، واستَاءَ القاضِي من لياذه بالصَّمت بغيْرِ سببٍ معقول"[٣٨]، **وكذا في قوله:** "وأهاج كلام الرجل الغضبَ في نفس حارس الأمن، إذ حسبه يلمزه من قريب ..."[٣٩]، **وقوله:** "واهتاجَ الغضب حارس الأمن فصاح...."[٤٠]

السخرية والاستهزاء في قوله: "فابتسم القاضي في استِخفاف وسأله.."[٤١]

الرِّضا والسَّعادة في قوله: "وغادرَ الرَّجل المحكمة وهو يحسّ بنشوةِ النَّصر"[٤٢]، ومنها **دلالة القبول والموافقة في قوله:** "ووجد فيه ذاك المجتمع المريض طبيبًا صادِقًا بارعًا فتعلَّق بمثلِه واعتنق مبادئِه"[٤٣]

التَّأثير في الآخرين: "فاستَطاع فِي مدّة وجيزةٍ أن يستأثِرَ بآذان القوم، ويسحِر قلوبهم ويهيّج عاطِفة الخَيْر فِي نفُوسِهم، ويوجّههم إلى حيثُ يُرِيد..."(٤٤)

الأمن والسَّلام في قوله: "فسحقت الجريمة، وهزم الشّر، وأدبرت الأمراض، وأظلّت السَّعادة بجناحيْهَا المقاطعة، فهلّلَ الحُكَّام، وكبَّروا وآمنوا بالرَّجل الذي كانوا فيه يمترون. وسعِدوا جميعًا لبلوغ الغاية النبيلة التي أنفقوا أعمارهم عبثًا في سبيل بلوغِهَا"(٤٥)

الغربة في قوله حكاية عن القاضي: "فأحسَّ بعزلةٍ وحشة، وبات كمعبدٍ مهجور في الصَّحراء"(٤٦)

دلالة اليأس والحيرة: "اطمأنَّ الإقليم جميعًا إلى الخير إلا أولئِكَ الذين وهبوا أنفسهم "صناعة الخير" كانوا حيارى يائسين يتلفَّتون يمينًا وشمالا فلا يجدونَ لأنفسهم مخرجًا ممَّا هم فيه"(٤٧) وفي هذا الموضع استثناء يبين معنييْن متناقضيْن؛ ما قبل آداة الاستثناء يوحِي بالسَّعادة والاطمئنان، وما بعدها يؤدِّي دلالة الحيرة واليأس كما أسلفنا، ومنه قوله: "فمن قائل إنَّه هجر المقاطعة إلى غيرِها بعد أن اطمأنّ إلى ثباتِ عقيدتِه....."(٤٨)

دلالة الخوف: "وكان حارس الأمن أشدَّهم عذابًا؛ لأنَّه كان أعظمهم جراءة، ولكنه كان يخشى أن يقدم على التَّصريح بمخاوفه فيجد آذانًا صمَّاء وقلوبًا مطمئنَّة إلى الخير"(٤٩)

المفاجأة، والصَّدمة، والذُّهول: "فاصفرَّت الوجوه وسأله سائِل بلسان مُلْعثَم: أمن المحتمَل أن يستغني عنَّا حقًّا؟"(٥٠)

الانتظار والتَّرقُّب كما ورد حكاية عن حال عُصبة الحكم بعد اختِفاء الشَّيخ: "ووجفت القلوب جميعًا، وتنفَّس السَّادة الصَّعداء وانتظروا على أملٍ سعيد .."(٥١)

النَّفي في قوله على لِسان (رام): "لا تخشوا القاضي فقلبه معنا، ولكنّ لسانه الذي مرن على الكلام عن العدالة لا يطاوعه على ما نحن بسبيله"(٥٢) الذي يوحِي بالاطمئنان، وبثّ الأمان في قلوب رجال الحكم.

الإعلانيَّات

وهى الأفعال اللُّغويَّة التي تغيِّر الواقِع بما يتناسب مع سيْر الأحداث داخل القِصَّة، وفِي (الشَّرّ المعبود) وردت هذه الأفعال فِي مواضِعَ عِدَّة تتجلَّى مِن خلالِها دلالات (الإثبات، والتَّأكيد، والإصرار) الذي يصطبغ بالصِّبغة الإعلانيَّة، يقول محفوظ على لِسَان الشَّيخ الغريب: **"أريد أن أصلِحَ هذه الدّنيا البَشِعة يا سيِّدي"**(٥٣)، الفعل النُّطقيّ: أُصلِح/ الفعل المضارِع، وفاعله المستتر وجوبًا، الفعل التَّأثيري: هو التَّغيير-أى تغيير- وجه الدُّنيا (أقصد المقاطعة) من البشاعة، والرَّداءة إلى الجمال، والعَدالة، أمَّا الفِعل التَّأثيريّ فتمثَّل فِي تعجُّب القاضي، ودهشته أمام إصرار وثقة الشَّيخ الغريب.

وبدَت (الإعلانيَّات) جليَّة فِي تصريحات عُصْبة الحكم بعد أنْ حقَّق الشيخ هدفه فسَاءت أحوالهم، وتردَّت مكاناتهم، ولم يبقَ لهم شيء سوى المكر والحيلة يقول: **"وقال آخر وهو يهزّ قبضة يده: لقد أفسدَ الشَّيخ الخرف المقاطعة"**(٥٤) أفسدَ/ فعل ماض، فاعلُه الشَّيخ، ومفعوله المقاطعة، وقد أكّدت الجملة بقد واللام، والدلالة الإنجازيَّة تكمن فِي مقدار الفساد الذي أحدثه الشيخ- فِي نظرِهم- وهو ما رسَّخه من قواعد الأمن والإيمان، والمَحبَّة، والفضيلة، لنعرِّج على الفعل التَّأثيري المتمثِّل فِي شخذ الهمم ضدّ الشَّيخ، والاستعداد للقضاء على دعوتِه التي يزعمون فسادهَا.

ومنه الإعلان بثبات، وإصرار، بقول (رام) **"ينبغي ألا تدوم هذه الحال"**(٥٥) ، فالفعل الكلامي: ينبغي/ يدلّ على الحال والاستقبال، ويحمل قيمة إنجازيَّة هى: الإنكار والنَّفي، والدَّلالة التَّأثيريّة: الغَضَب، والحُزن، والثورة.

وقد يتضمَّن الخطاب الإعلانيّ دعوةً صريحة إلى الثورةِ والغضَبِ، ومحاولةِ تغيير الواقِع إلى الأفضل- من وجهةِ نظر رجال المقاطعة- قالَ أحدُهم: **"هذه حال لا يمكن السّكوت عليها"**(٥٦)

فالجملة الخبريّة تحملُ دلالتها النُّطقيَّة التي تتجلَّى قيمتها الإنجازيَّة في إنكار الوضع القائم، وسرعة التَّحرك إيذانًا ببدءِ تغيره، أمَّا عن الفعل التَّأثيريّ فيتَّضح فِي اتفاقِهم على إفسادِ الشَّيخ للمقاطعة، واتِّحادهم على ضرورة إقصائِه. وهذا يعني أنَّ الفعل في اللغة العربيَّة لفظ مشترك، فحين نتحدَّث عن الفِعل ونقصد به الصيغة، ونتحدَّث عن الفِعل ونقصد به وقوع الحدث، فنحن في الكلام ننجز الأشياءَ، أى نخرجها من العدم إلى الوجودِ حسب مواقف ما.(٥٧)

الأفعال الإنجازيَّة غير المُباشِرة:

وهى التي تخالِف فِيها قوتها الإنجازيَّة مرادَ المتكلّم كما ذهب (سيرل)، ولا يمكن للمتلقّي أن ينتبهَ إليها إلا من خلال عمليَّات استِدلاليَّة تتفاوت طولًا وتعقيدًا، فإذا قال أحدُهم: هل تستطيع أن تفتح النّافذة؟ فهذا الاستفهام يعدُّ فعلًا إنجازيًّا غير مباشِر تبعًا لتصنيف (سيرل)، إذ يتَّضح أنَّ قوّتَه الإنجازيَّة الأصليَّة تدلُّ على الاستفهام الذي يحتاجُ إلى جواب، نستدلُّ عليه بواسطة (هل)، ولكن بشيء من التَّركيز يتَّضح أنَّ الاستِفهام غير مراد التَّكلُّم، والمراد أنَّ هذا طلب مهذَّب يؤدّي دلالة الفِعل الإنجازيّ المباشِر: افتح النافذة.

إذن لا تقتصر وظائف اللُّغة على التَّعبيرات المباشرة بالوصفِ والإخبار بل تتعدَّى ذلك لآداءِ وظائف ودلالات أخرى تتعدَّد بتعدُّد استعمالاتِها، وهو ما رصدته الدِّراسة فِي مواضع عِدَّة من القِصَّة نوردها على النَّحو التالي:

في قوله حكاية عن مقاطعة (خنوم): **"ولكنَّها كانت تدفع نصيبَها كامِلا من ضريبة الشَّقاء والأحزان"**(٥٨)

الفعل الكلاميّ (تدفع) يتضمَّن فاعِلا مستترًا يُحِيل به إلى (المقاطعة)، ويريد: أنَّ هذه المقاطعة ترزح في بحور الشَّقاء، وتعاني من البؤس والأحزان.

ومن المعاني الإنجازيَّة غير المباشرة أيضًا:

- التَّعجُّب والاستِنكَار فى حكايته عن بطل قِصَّته: "فمَا لمست قدمَاه بلدًا حتّى تساءَل أهله عجبًا: مَن الرَّجل؟ .. وأىّ بلد قذفه؟ وما الذي يريد؟ وكيف يضربُ في الأرض حين ينبغِي أن يخلدَ إلى السَّكينة والرَّاحة في انتظار الانتقال إلى عالم أوزوريس؟"(٥٩)، **وتجلَّت هذه الدَّلالة فى سؤال القاضى(سومر) للشَّيخ الغريب:** "ما اسمك أيُّها الشَّيخ؟"(٦٠) **ونجد الاستنكار أيضًا فى قوله:** "ألا تدري ما اسمكَ حقًّا؟"(٦١)، **ويستمرّ القاضى فى استنكاره لموقف الشَّيخ قائلا:** "أتقول إنَّك نسيت اسمك... بم يدعوكَ النَّاس؟"(٦٢)

- الغضب: في خِطاب القاضي للشَّيخ: "وسأله بلهجة خشنة "لماذا لا تجيب" (٦٣)

وقد لاحظ (سيرل) أنَّ الأفعال الإنجازيَّة غيْر المباشرة لا تدلُّ هيئتها التَّركيبيَّة على زيادة فِي المعنى الإنجازيّ الحرفيّ، وإنَّمَا الزِّيادة فيما أطلق عليه (سيرل) معنى المتكلّم، وأنَّ السَّامِع يصِل إلى هذا المراد من خلال مبدأ التَّعاون عند (جرايس)(٦٤).

ومن الأفعال الكلاميَّة غير المباشرة ما يفيد دلالة السُّخرية والاستهزاء: "فقال الرَّجل بصوتٍ خافت وعلى فمه ابتِسامة خفيفة غامِضة: لا أدري يا سيِّدي ... فتضاعفَ استِيَاء القاضِي"(٦٥)، **ومنْهَا ما يفيد الحثّ، وإثارة الخوف لشحذِ الهمم، ونجده فى قول (رام):** "ماذا تفعل لو استغنى الحاكِم عن خدماتنا غدًا؟"(٦٦)، **ومن دلالات الحث أيضًا:** ما قاله

الحارس (رام) وهو يهز كتفيه استِهانة: وماذا نفعل حتَّى نستحِق البقاء؟، وكأنَّه بقوله هذا رفع صمامًا عن مرجل يغلي ففاض كلّ بما في قلبه.."[٦٧]

فالفكرة الأساسيَّ التي تطرحها الأفعال الكلاميَّة (غير المباشرة) تتمثَّل فِي معرفة كيفَ يتسنَّى للمتكلّم أن يقولَ شيئًا وهو لا يعنيه، وهو في ذاتِ الوقت يريد أن يعني أمرًا آخر، ثمَّ رصد مدى إمكانية المخاطَب في فَهم الفعل الكلاميّ غيْر المباشِر.

دور التَّداوليَّة في ترابط النَّصّ وتماسكه داخليًّا وخارجيًّا:

تحمل لُغة (الشَّرّ المعبود) أبعادًا سِياقيَّة، وقيمًا تداوليَّة، فلا ترِد المعاني والمفردات بصورةٍ عشوائيَّة، بل تزخرُ القِصَّة بعددٍ لا بأس به من الدَّلالات التِي تحملُ طابعَ الإنجاز والتَّأثير، فلا يمكن أنْ يزعمَ زاعِم أنَّ القِصَّة تشتملُ على ألفاظ أو عبارات زائدة، لأنَّ كلّ ما تحمله بين جنباتِها يحملُ وظائفَ سياقِيَّة متنوِّعة (نصيَّة داخليَّة – أو مقاميَّة خارجيَّة).

ويمكننا بيان ذلك من خلال رصد كلٍّ من:

التَّرابط (التَّماسك) الخارجي: وقد تأتَّى ذلك بتحديدِ العناصر التي تسهمُ في إحداثِ هذا التَّرابط خارجيٍّ، وهى كالتَّالِي:

زمان وقوع أحداث القِصَّة: وقد أورده الكاتب في الكلماتِ الأولى لقِصَّته: **"قبلَ استِيلاء أوَّل ملك على عرش مِصر"**، وقت أن كان الوادي مقاطعات مستقِلَّة لكلّ منها إله، ودين وحاكِم.

مكان وقوع أحداث القِصَّة: مقاطعة (خَنوم).

شخصيَّات القِصَّة: المُتمثِّلة في البطل (الشَّيخ الغريب) الذي يحاولُ إصلاحَ المقاطعة، وتطهيرهَا من أدرانِهَا، ورجال المقاطعة الثلاثة القاضي (سومر)، وحارس الأمن (رام)، والطبيب(حتب) الذين يظنُّون عبثًا أنَّهم يجاهِدون الفساد، ويكافِحون الجريمة، فما إن نجحَ الشَّيخ الغريب فِي علاج أمراض المقاطعة وبلغ بهم مبلغَ السَّعادة التي أنفقوا أعمارهم أملًا في بلوغِهَا؛ حتَّى ثقُلَ عليهم ذلك، فتبيَّن كذبهم وأزاح بفعلتِه هذه النِّقاب عن ادِّعائهم، وافتِرائهم، ولم يهنأ لهم بال حتى حقَّقوا فكرتهم الخطيرة وأعادوا الوضع إلى ما آل منه على يدِ الشَّيخ الغريب، ليكافِحُوا مرَّةً أخرى عن الخيرِ والعدالةِ والسَّلام.

التَّرابط (التَّماسك) الدَّاخِلِيّ :

ويمكِن رصده من خلال العناصِر التَّالية: (الإحالة – الإشارة – العطف - التَّكرار)

ولكلٍّ من هذه العَناصر دوره المُهمّ في إحداثِ التَّماسك النَّصيّ بين أجزاء القِصّة يتَّضِح وفقًا للتَّحليل التَّالي:

أوَّلًا: الإحالة:

(Reference) الآداة الأكثر شيوعًا وتداولًا فِي الرَّبط بين الجمل وبعضِها داخل النَّصّ، كما أنَّهَا من المسوِّغَات التي تضفِي تماسكًا، واتِّساقًا على الكلام، وتحول دون تشتُّته، وتكراره.[٦٨]، والإحالة كما عرَّفهَا (لاينز): "العَلاقة القائِمة بين الأسماء والمسمَّيات"[٦٩]؛ فالأسماء بهذا المعنى تحيلُ إلى مسمَّياتِها، وهذه العَلاقة دلاليَّة بحتَة، تخضعُ لشرطٍ أساسيّ هو وجوب التَّطابق فِي السِّمات الدَّلاليَّة بين كلٍّ من العنصر المُحِيل، والعنصر المُحال إليه.[٧٠]

تكرَّرت الإحالات فِي (الشرّ المعبود) فِي مائتى موضع، تمثَّلت فِي (الإحالة النَّصيَّة أو المقاليَّة) التي تُحِيلُ لفظة إلى أخرى قبليَّة أو بَعديَّة داخل النَّصّ، مرتكِزة على العَلاقات اللُّغويَّة داخل النَّصّ ذاته، وقد وردت على النَّحو التَّالي:

- أحال الكاتِب إلى (الشَّيخ الغريب) بطل القِصَّة في ستَّة وثمانين موضعًا، وكلُّها إحالات داخليَّة قبْليَّة، ويبدو مِن تكرارها فِي هذه المواضِع قصد الكاتِب إلى الإيجَاز، وترابُط الأحداث، وعدم تشتيت القاريء، كما يدُلُّ تكرارها على أهميَّة البطل محور الأحداث.

- الإحالة إلى (القاضي سُومَر) فِي واحد وثلاثين مَوضِعًا، وهى إحالات قبليَّة كذلك، ويؤكّد تكرارهَا على الدَّور المحوريّ الذي لعِبَه القاضِي فِي مقاطعتِه، وفِي مجرى أحداث القِصَّة.
- أحال الكاتِب إلى (المقاطعات) سبع مرات، وكلّها إحالات قَبليَّة.
- وأحال إلى حُكّام (خنوم)، ورجالاتِها في واحد وأربعين موضعًا، أحالَ فِي اثنا عشر موضع فيها إلى (رجال المقاطعة)، وفِي تسعة وعشرين موضِعًا إلى (الحُكّام)، وكلُّها إحالات داخليَّة قبليَّة.
- أحال إلى حارِس الأمن (رام) في ثمانية عشر موضع، وهى إحالات قبليَّة أيضًا.
- أحال إلى الطَّبيب (حُتُب) مرات ستّ، وإلى (الرَّاقِصة الفاتنة) في ثمانية مواضِع، كما أحال إلى المكافحة، والحيرة مرَّة واحدة إحالتيْن بعدِيَّتيْن، وهو ما يشير إلى قلّة ورودها، فلم ترد سوى في ثلاثة مواضع عدا هذين الموضعيْن.

فالإحالة كما تجسَّدت فِي (الشرّ المعبود) كما عبَّر عنها (دي بوجراند) بالعَلاقة بين العبارات، والأشياء، والأحداث، والمواقف، فِي العالم الذي يدلّ عليه بالعِبارات ذات الطَّابع البدائليّ فِي نصٍّ ما إذْ تشيرُ إلى نفس عالم النَّصّ، وبذلك يمكن أن يُقال عن هذه العبارات أنّها ذات إحالة مشتركة(٧١).

يتَّضِح من العرض السَّابق دور الإحالة المحوريّ في اتّساق القِصَّة، وترابطها الشَّكليّ والدَّلالِيّ.

ثانِيًا: الإشارة:

والإشارة: مفهوم لسانيّ يجمعُ كلَّ العناصر اللغويَّة التي تحيل مباشرة على المقام من حيثُ وجود الذات المتكلّمة، أو الزَّمن، أو المكان، حيث ينجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه ... وهذه العناصِر تلتقي في مفهوم التَّعيين أو توجيه الانتباه إلى موضوعِها بالإشارة إليه، وهى تنطلق من نقطة مركزيَّة هى الذات المتكلّمة وفق عدد من المعايير هى المسافة الفاصلة بين المتكلّم أو المخاطب من جهة، وبين المشار إليه من جهة أخرى،... وهى حضور المشار إليه أو غيابه، وينحصرُ دور هذه العناصِر فِي تعيين المرجع التي تشير إليه.(٧٢)، ويمكنُ اعتبارها أحد أهمّ الأدوات الإحاليَّة داخِل النُّصوص، حيث تُسهم في إحكام بنية النَّصّ وتماسكها، فالإحالة إلى عناصِرَ إشاريَّة متقدمة، ولاحقة عامِلًا قويًّا يعمل على ربط أجزاء النَّصّ(٧٣).

وردت المبانِي الإشاريَّة الصَّريحة في واحد وعشرين موضِعًا فِي (الشَّرّ المعبود)، قامت هذه المبانِي بوظيفةِ الإحالة النَّصِّيَّة القبليَّة، وسنعرِض لهذه المواضِع ودلالاتِها، ودورِها في إحداث التَّماسك النَّصّيّ:

(هذه) وردت في ثمانية موَاضِع، على النَّحو التَّالي:

يقول الكاتِب على لسان الشَّيخ: **"لم يقدِروا بعد على تغيير هذه البشاعة"** إشارة إلى قربهَا، ومعاناة المقاطعة من صورِهَا التي تشوِّه القلوب جرَّاء الشَّرّ والجريمة، وفي قول القاضي مخاطِبًا الشيخ في نبرة تحدٍّ وسخرية: **"وهل تنجح إذ أخفقت جميع هذه القوى المؤتلِفة؟"** إشارة إلى القوى المتمثّلة في حكّام المقاطعة ورجالِها المنوطين بحفظ الأمن ودحض الجريمة والفَساد، **وجاءت على لِسان الشَّيخ الغريب: "فوجدتُ أنَّ المعدة أصلا بلاء هذه المُقاطعة" حيث استخدم الإشارة هنا للإشفاق على أمر المقاطعة، وما آل إليه حالهَا من تردٍّ وضياع،** وعلى لِسان أحد الحكّام: **"هذه حال لا يمكن السّكوت عليْهَا"، وقوله: "ينبغي ألّا تدوم هذه الحال"** حيث يوجِّه بإشارتِه إلى هذه الحال دعوة صريحة

للثورة على الشيخ وما قام به من عملٍ أوْدَى بهم إلى التَّهمِيش، والعُزلة، وضياع الهيْبة، محاولين بذلك تغيير الواقع إلى الأفضل – من وجهةِ نظرِهم-، **إنَّه يحطِّم القوى الإنسانيَّة العاليَة بهذه الدَّعوة الفاسِدة"**، إشارة إلى دعوتِه للأمن، والأمان، والحقّ، والخير، والجَمَال.

ويقول الشَّيخ **"بصوتٍ قويّ النَّبرات يهزأ بالسّنين التي عاشَها في هذه الدُّنيا: أريدُ أن أصلحَ هذه الدّنيا البشعة يا سيِّدي"** إشارة إلى الواقع الأليم وما ترزح فيه دنياهُم من مرضٍ، وجهلٍ، وفساد.

وتكرَّر المبنى الإشاريّ (هذا) ستّ مرَّات في القِصَّة على النَّحو التَّالي:

جاء حكاية عن القاضِي: **"وساءَل نفسَه عمَّا يرتكبه هذا الشَّيخ الفاني"** إشارةً إلى حيرة القاضِي، ودهشته، وعجبه من أن يُساق إليه شيخ طاعِن في السِّنّ متَّهم بإثارة الضَّجيج، والفتن.

وعلى لسانِه أيضًا يقول مثنيًا الشَّيخ عن هدفِه: **"ولا تحمِّل شيخوختك ما لا طاقة لها به من بلوغ هذا المطلب العسير"** ليشيرَ إلى الهدفِ النبيل الذي يرنو إليهِ الشيخ، وهو إصلاح الواقع البشِع.

ومواصلة لإثناء الشَّيخ وصرفِه عن هدفِه جاء على لسان القاضِي أيضًا يقول: **"على العكس ممَّا ترى هذا داءٌ لا دواءَ له"**، وعلى لِسان الشَّيخ الغريب مخاطِبًا القاضِي: **"هذا قولهم يا سيِّدي"، و"هذا شأنهم يا سيِّدي"** مشيراً بذلك إلى حكَّام المقاطعةِ الذين لا يؤمنون بالخير، ويجاهدون جهَاد الآلات الصَّمَّاء طمعًا في المَجْدِ والجَاه. وإشارة إلى قول الحارس (رام) الذي أعلنَ عن مخاوِفِه من استغناء الحاكِم عنهُم لِمَا تحقَّق في المقاطعة من استقرار، ورخَاء: **"وكأنَّه بقوله هذا رفع صِمَامًا عن مرجل يغلِي"** إشارةً إلى إثارةِ الذين وهبوا أنفسَهم صناعة الخير كما عبَّر عنهم محفوظ، وتشجيعم على التَّصريح بمخاوفهم، والتَّفكير في أسبابِ دحضِهَا.

(ذلك) ووردت في مواضع ثلاثة:

وردت في سؤال القاضي للشَّيخ: "ما الذي تريده من وراء ذلك؟" وجاءت (ذلك) لتشيرَ إلى تَطفُّل الشَّيخ ومجادلتِه أهل المقاطعة في الخير والشَّرّ حتى أنَّه كان لا يتركهم إلا وقد فرَّقت الفتنة والشِّقاق بينهم، وهو ما أكَّده (رام).

وفي قوله حكاية عن (رام): **" حقَّق ذلك العبقريّ فكرته الخطيرة"** إشارة إلى دهائِه، ومكرِه، ونجاحِه في عبادة الشَّر، وإثناءِ الجميع عن وجوه الخير بفكرته التي أعاد بها الحياة الشَّيطانيَّة إلى المقاطعة.

وإشارةً إلى الاستقرار فِي قولِه: **"شاهدوا جميعا ... ذلك النِّظام يتقوَّض"** وهو نظام الأمن، والسَّلام، والسَّعادة.

(ذاك – تلك – هاتيْن – أولئك) التي ورد كلّ منها في موضع واحد من القِصَّة - قيد الدِّراسة-

(ذاك)، وقد وردت فِي سياق حديثِ الكاتِب عن سكَّان المقاطعةِ الأبرياء: **"ووجد فيه ذاك المجتمع المريض طبيبًا صادِقا بارعًا"**، وقد استُخدمَ الإشارة هنا للبَعيد للدلالةِ على ما يعانِيه المجتمع من ظُلمٍ، وقَهْرٍ، ومرضٍ، وخوفٍ، وجهلٍ، وفسَادٍ، حتَّى أنَّهم وجدوا فِي دعوة الشَّيخ متنفَّسًا لهُم، ومنقذًا من الغيِّ والضَّلال، والعذاب.

(تلك) إشارة إلى المقاطعةِ (مكان أحداث القِصَّة): **"وفي أحد الأجيال التي مرَّت على تلك المقاطعة"**

هاتين إشارةً إلى بيْت الدَّاءِ والبَلاء كما وصفهُمَا الشَّيخ الغريب: **"ومن التَّجاذب والتَّنافر بين هاتيْن المعدتين يحدث السَّلب، والنَّهب، والقتل"** وأراد بالمعدتيْن: معدة الذين لا يستطيعون أن يملأوا منها فراغًا فيعيوا جوعًا، ومعدة أولئكَ الذين لا يتركون بها فراغًا فيهلكونَ نهمًا.

أولئِكَ التي أشار بها إلى حُكَّام المقاطعة: **"اطمأنَّ الإقليم جميعًا إلى الخير إلَّا أولئكَ الذين وهبوا أنفسَهم صناعة الخير"** إشارةً إلى بعد هدفِهم الظاهِر للعيان عن حقيقةِ سرائرهم، وما يدَّعونه من رغبةٍ في صناعة الخير، وتحقيقه على أرض المقاطعة.

فالإشارة في القِصَّة رغم قلَّتِهَا إلا أنَّها قامت مقام الضَّمير فِي الإحالة على كلمة، أو كلام سابق، أو لا حق فِي النَّص.(٧٤) وهذا الرَّبط الذي أحدثته الأنماط الإشاريَّة في المواضع السَّابقة هو ما جعل النَّصّ يبدو متماسِكًا ومتَّحِدًا دلاليًّا.

العطف: وقد تنوَّعَت في القِصَّة بين (الواو) و(الفاء) و(ثمَّ) و(أو)

وقد تصدَّرت (الواو) مشهد الرَّبط بين كلمات القِصَّة، وجملِهَا، وعباراتِها لتكونَ أكثر الأدوات تكرارًا حيث وردت مائتى وسبع عشرة مرَّة في القِصَّة، جعلت القارِيء للقِصَّة يتشكَّل لديهِ نصًّا متكامِلًا مُنْسَجِمًا يعبِّر عن بنيَة دلاليَّة واحِدة، ووردت (الفاء) في الشرِّ المعبود ستّ وأربعين مرَّة لتحقّقَ التَّماسك داخل نصّ القِصَّة، أمَّا (ثمَّ)، و(أو) فقد وردتَا مرَّة واحدة في ربطِ أحداثِ القِصَّة.

يقول الكاتِب حكاية عن القاضِي: **"ولمَّا مثل بين يديه الرَّجل الغريب أخذه العجب، واستولت عليه الحيرة، وساءل نفسه عمَّا يرتكبه هذا الشَّيخ الفانِي، ثمَّ سأله بصوته المتَّزن....."** ليربطَ بين هذه الجُمل التي تبيِّن حيرة القاضِي ودهشتِه من أمرِ الشَّيخ، وليثبتَ الوقت الذي استغرقه القاضِي في إحساسِه هذا تجاه الشَّيخ.

واستِمرارًا لمسلسلِ العجب والدَّهشة جاءت (أو) لتوضِّح تردُّد الشَّيخ وغموضه، يقول: **"فصمتَ الرَّجل، ولم يجب، وهزَّ رأسه كأنَّه لا يريد أن يتكلَّم أو لا يدري ما يقول"**، وقد قصد بها الكاتب (التَّخيير) إمعانًا في إثارة ذهن القارِيء.

نخلُص إذن إلى أنَّ العطف يعدُّ أحد أهم وسائل تحقيق الاتّساق، والتَّرابط، والانسِجام داخل نصّ القِصَّة.

التَّكرار: ويعدُّ أظهَر سمات الاتّساق النَّصيّ لقِصَّة (الشَّرِّ المعبود)

وقد رصدت الدِّراسة التَّكرار في تسعة محاور أساسيَّة نعرضُهَا كالتَّالي:

تكرار ذِكرالشَّخصيَّات: وهو أمرٌ بديهيّ لأنَّ شخوصَ القِصَّة تمثّل أهم محاور وبؤر الاهتمام لدى كلٍّ من الكاتِب والمتلقّي، وقد وردَ ذِكْر (الشَّيخ الغريب) بطل القِصَّة فِي عِشرين موضِعًا منها، تارةً يوسَم تارة بالرَّجل، وتارة بالشَّيخ، يليه (القَاضِي) الذي وردَ ذكره ثلاث عشرة مرَّة ذُكِر فِي اثنتيْن منها باسمِه (سومر)، وبصفتِه فِي بقيَّة المواضِع، وذلك لأنَّ أغلب الجمل الحواريَّة فِي القِصَّة دارت بين الشَّيخ، والقاضي الذي أخذته الدَّهشة والحيرة حِيال أمر الشَّيخ، أمَّا (رام) فقد تكرَّر ذكره إحدى عشرة مرة، منها ستّ مرات بصفتِه (حارس الأمن)، ويمكننا تفسير ذلك بكونه أشدّ الحكَّام ارتِيابًا من الشَّيخ الغريب، وأكثرهم عذابًا جرَّاء بلوغ هدفه فِي تحقيق الأمن والاستقرار للمقاطعة، وكان الطَّبيب (حُتُب) أقلّ حظًا في تكراره؛ فقد تكرَّر فقط فِي مواضعَ ثلاثة اثنين منها بصفتِه.

تكرار المُقاطعة: المكان الذي عُدَّ مسرحًا لأحداث القِصَّة، حيث تكرَّر فِي ثلاثة عشر موضعًا، منها ثلاثة مواضع باسمِها (خنوم)، ووردت مرَّتيْن باسم (الإقليم).

تكرار الشَّر: الذي يعدُّ مرآة القِصَّة وعُنوانها، حيث ذُكِر فِي ثمانية مواضِع، ليُنَبِّه على دوره الرَّئيس في حياةِ مَن يتَّخذونَه إلهًا لهم، ويسعَون مِنْ خلالِه لترسِيخ القيَم الزَّائفة، والعقائد الكاذِبة.

تكرار الفِعل (كان): ويمكننا تفسير ذلك في إطار الحيلة الفَنِّيَّة التي تؤكِّد وقوع أحداث هذه القِصَّة في الزَّمن الماضي، وقد تكرر الفعل (كَانَ) خمسًا وعشرين مرَّة.

"ويعدُّ تكرار الفِعل من المؤشِّرات الدَّالَّة على حِدَّة الموقِف الشّعوريّ، والتَوتُر الانفعاليّ فِي نفس الكاتب ممَّا يعني أنَّ له وقعه النَّفسيّ الخاص الذي يتجاوز مَهَمَّة الفِعل فِي نقل الحدث المرتبط بزمنٍ معيَّن، ليتحوَّل الفِعل إلى لبنة أساسيَّة فِي النَّصّ ليولِّدَ طاقات تعبيريَّة هائلة، وانبثاقات دلاليَّة مدهِشة"(٧٥)

تكرار أسلوب الاستِفهام: حيث ورد في سبعة عشر موضِعًا من القِصَّة تنوعت دلالاتها بين الاستفهام الحقيقيّ، والتَّعجُّب، والاستِنكار، والدَّهشة، والريبة، والازدراء، والغضب، والاستِياء، والتَّحدِّي، والخوف، والاضطراب.

ومن العرض السَّابق يتَّضِح لنا أنَّ الكاتِب استخدمَ تقنية التَّكرار ليربط بين عناصر القِصَّة ربطًا فنِّيًّا يشي بحالتِه النَّفسِيَّة التي يريد إيصالها للمتلقّي، ليخلقَ جوًّا مناسِبًا يتماشى وحالته النَّفسيَّة، فللتكرار قيمته الجماليَّة التي تضفي الثَّبات الدلاليّ للنصِّ، وتجعله أكثر وحدة وتماسُكًا.

الخاتِمَة:

وبعدُ، فهذا العمل المُتواضِع ما هو إلا محاولة لإثراءِ الدِّراسات اللُّغويَّة، وتوسِيع الرُّؤية والاهْتِمَام باللِّسَانِيَّات التَّداوليَّة، وكَذا تَنْبيه البَاحِثِينَ إلى (نَجيب مَحْفُوظ) القَاصّ الَّذي لا تَقِلّ أعماله القَصَصِيَّة إبداعًا عَن أعمالِه الرِّوائِيَّة.

وقد انتهت الدِّراسة إلى عددٍ من النَّتائِج، نلخِّصُهَا فيمَا يلي:

- للأبعادِ غير اللُّغويَّة الَّتي تتَّصِل بالسِّياق والمقام المُصاحب للنَّصِّ دور رئيس في إنتاج المعنى، وإيضاحِه.
- تُشَكِّل المجموعة القصصيَّة (همس الجنون) لنجيب محفوظ بنيانًا إبداعِيًّا مميَّزًا، وعُمقًا إنسانِيًّا ساميًا، تتزاحمُ بها عِدَّة إشكاليَّات ودلالات ترتبطُ ارتِباطًا وثيقًا بمجتمعِنَا المعاصِر، وواقِعِنا الذي تدور أحداثه بين الخير والشَّرّ، والظُّلم والعدل، والحقّ والباطِل.
- اعتمدت قِصَّة (الشرِّ المعبود) على العديد من الأفعال الكلاميَّة ذات الطَّابع الإنجازيّ التي أسهمَت فِي تحويلِها إلى ملحمةٍ أدبيَّة تسلّطُ الضَّوءَ على واقعٍ اجتماعيٍّ مرير بُغية تغييره.
- أسْهمت الأفعال الكَلاميَّة فِي بنَاء نصّ (الشَّرالمعبود) وتماسُكه من خلال الاعتماد على الاخباريَّات، والموجِّهات، والتَّعبيريَّات، وتجلَّى ظهورها في الجانب الحواريّ الذي اعتمد عليه الكاتِب.
- قِلَّة الإعلانيَّات، وعدم ورود الإلزاميَّات (التَّعهُّديَّات) من الأفعال الكَلاميَّة في القِصَّة، فالكاتِب لم يحتج لإلزام شخوصِه القيام بشيءٍ في المُستقبل، ولم يكُن بحَاجةٍ إلى إبرام العُقود؛ لأنَّ هدفَها الأوَّل رَصد أدران المُجتمع، ومحاولةِ علاجها.
- استخدمَ محفوظ (الأفعال الكَلاميَّة غيْر المباشرة) بجانبِ (الأفعال الكلاميَّة المباشِرة) لقدرتِها الفائِقة فِي بناءِ الفضاء التَّأويليّ للنَّصِّ.
- لزمان وقوع أحداث القِصَّة، ومكانِها، وشخصيَّاتها الأثر البالغ في إحداث التَّماسك الخارجيّ للقِصَّة.
- رصَدَت الدِّراسة دور (الإحالة، والإشارة، والعطف، والتَّكرار) كأدواتٍ للتَّرابط الدَّاخلي، وأثبتت دورهم المحوريّ فِي اتّساق القِصَّة، وترابطهَا الشَّكليّ والدَّلالِيّ.
- حاوَل البحث تفسِير أثر بنَاء قِصَّة الشَّرّ المعبود بناءً خاصًّا، وتحديد دلالتها، بل وتوجيهها ، وربَّما الانزياح بها اعتِمَادًا على هدفِ الكاتِب ومقصِده، وذلك قصد تحديد السِّياق العام لها.

وبعدُ، فالحمدُ للَّهِ الَّذي بفضلِه تمَّ هذا العمَل، فإن كنتُ قد أصبتُ فيه فذلك فضلُ اللَّه يوتيه مَن يشاء، وإن كانت الأخرى فحسبيَ أنَّني اجتهدتُ، والله مِن وراء القصد.

الباحِثة

Abstract

Speech Acts: A Pragmatic Study of "Whispering of Madness"

By Manar Ali Muhammad Saeed

Modern linguistics is generally characterized, and textual linguistics in particular, by a renewing movement of concept crystallization, and applied contributions in the field of text description. It has become evident that the textual linguistics and discourse analysis have broken the boundaries of the sentence structure going beyond the text. This level of discourse has become connected to non-linguistic sciences that make the perspectives of discourse analysis a multidisciplinary science. The current study is entitled *Speech Acts: A Pragmatic Study of "Whispering of Madness'*. It adopts the descriptive-analytical approach in *The Worshipped Evil* which is one of the short stories in the great writer Naguib Mahfouz's short story collection *The Whisper of Madness*. The study is concerned with what the speakers of the language do in terms of achievement, communication, and influence. The study focuses on the pragmatic analysis of the speech acts used by the characters. Therefore, both the speaker and the addressee contribute to determine the type of work entrusted to them to be delivered to the reader. Therefore, the study presents a detailed analysis of the speech acts mentioned in *The Whisper of madness*, specifically in the short story *The Worshipped Evil*, where the latter depended on many literal meanings and connotative meanings (or the meaning of the meaning as al-Jirjani called it). The short story relied on dialogue, which is one of the most important elements of speech act theory, and it also has an effective role in showing the elements of communication, and the performative functions carried by speech acts that clarifies some ambiguous meanings. This study has relied on a number of studies and references that dealt with discourse analysis. It is divided into two parts: The first part presents a detailed analysis of speech acts in *The Worshipped Evil*, and the second part investigates the pragmatic context and its role in achieving the coherence and cohesion of the text.

Key words: Pragmatics – Speech Acts- Naguib Mahfouz – The Whispering of madness – The Worshipped Evil.

الهوامش:

(١) التّداوليَّة، جورج يول، ترجمة قصيّ العتابي، دار الأمان، الرّباط، ٢٠١٠، ص ١٩

(٢) المرجع السَّابق، ص ٢٠.

(٣) التّداوليَّة عندَ العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطّليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٦

(٤) مسعود صحراوي، مرجع سابق، ص٤٠.

(٥) المرجع السَّابق، ص ٤١.

(٦) الأفعال الكلاميَّة عندَ الأصُوليّين دراسة في ضوء اللسانيّات التداوليَّة، مسعود صحراوي، مجلة الدِّرَاسَات اللُّغَويَّة، العدد الثّاني، ربيع الثاني ١٤٢٥هـ- سبتمبر ٢٠٠٤م، ص١٩٩.

(٧) النَّصّ والسِّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتّداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠، ص ٢٢٧.

(٨) التداولية عند العلماء العرب، ص٤٢، وانظر في اللسانيَّات التداوليَّة، خليفة بوجادي، ص٦٦.

(٩) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص١٠، ١١.
(١٠) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخِطاب، دومينيك مانقونو، ترجمة محمد يحياتن، الدَّار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، طـ ١، ٢٠٠٨، ص ٧.
(١١) نجيب محفوظ والقِصَّة القصيرة، د. محمد عبيد الله، مقال منشور بموقع www.startimes.com مُتاح بتاريخ ١٨ ديسمْبر ٢٠١١م.
(١٢) المرجع نفسه.
(١٣) سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي، عامر رضا، مجلّة الواحات للبحوث والدّراسات، مجلّد ٧، العدد ٢، ٢٠١٤م، ص ١٢٤.
(١٤) تحدَّثت خالِدة سعيد باستِفاضةٍ حول الجنون في الأعمال الأدبيَّة، وعبَّر عن المجنون في الأدب بأنَّه إنسان الخيال الذي يناقِض إنسان الذَّاكِرة؛ فهو الفوضَى وسْط النِّظام، ولمزيدٍ من الإيضاح انظر حركيَّة الإبداع (دراسة في الأدب العربيّ الحديث) – خالِدة سعيد، دار الفكر – بيروت، طـ ٣، ١٩٨٦م، ص ٣٤ وما بعدها.
(١٥) هذا ملخَّص موجز لأهم أحداث قِصَّة الشر المعبود، ضمن المجموعة القصصِيَّة (همْس الجُنون)، دار الشّروق، طـ ١، ٢٠٠٦م، ص ١٧١، ومَا بعدَهَا.
(١٦) الأساليب الإنشائيَّة في النَّحو العربي، عبد السَّلام هَارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٨١م، ص ١٣.
(١٧) مجموعة همس الجنون، الشَّرّ المعبود، ص١٧٢.
(١٨) نفسه.
(١٩) همس الجنون، ص١٧٥.
(٢٠) همس الجنون، ص١٧٤.
(٢١) همس الجنون، ص١٧٩.
(٢٢) نفسه، ص١٧٩.
(٢٣) همس الجنون، ص ١٧٢.
(٢٤) نفسه.
(٢٥) همس الجنون، ص١٧٢.
(٢٦) نفسه، ص١٧٣.
(٢٧) همس الجنون، ص١٧٣.
(٢٨) نفسه، ص١٧٥.
(٢٩) همس الجنون، ١٧٥.
(٣٠) همس الجنون، ١٧٨.
(٣١) همس الجنون، ١٧٣.
(٣٢) نفسه، ص١٧٤.
(٣٣) نفسه، ص١٧٥.
(٣٤) نفسه، ص ٩٠.
(٣٥) همس الجنون، ص١٧٩.
(٣٦) همس الجنون، ص١٧٣.
(٣٧) نفسه.
(٣٨) نفسه.
(٣٩) همس الجنون، ص١٧٦.
(٤٠) همس الجنون، ص١٧٨.
(٤١) همس الجنون، ص١٧٥.
(٤٢) همس الجنون، ص ١٧٦.
(٤٣) نفسه.
(٤٤) نفسه.
(٤٥) نفسه.
(٤٦) همس الجنون، ص ١٧٧.
(٤٧) نفسه.

(٤٨) همس الجنون، ص١٧٨.
(٤٩) همس الجنون، ص ١٧٧.
(٥٠) نفسه.
(٥١) همس الجنون، ص١٧٨.
(٥٢) نفسه.
(٥٣) همس الجنون، ص١٧٤.
(٥٤) همس الجنون، ص١٧٧.
(٥٥) همس الجنون، ص١٧٨.
(٥٦) همس الجنون، ص١٧٧.
(٥٧) نظرية أفعال الكلام العامَّة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، جون أوستين، ترجمة: قينيني، بتصرُّف، ص١٦.
(٥٨) همس الجنون، ص ١٧٢.
(٥٩) نفسه.
(٦٠) همس الجنون، ص١٧٣.
(٦١) همس الجنون، ص١٧٤.
(٦٢) نفسه.
(٦٣) همس الجنون، ص١٧٣.
(٦٤) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصِر، محمود أحمد نحلة، ص ٥١، المقاربة التَّداوليَّة، ليلى آل حمَّاد، ص ١١، ما بعدهَا.
(٦٥) همس الجنون، ص١٧٣.
(٦٦) همس الجنون، ١٧٧.
(٦٧) نفسه.
(٦٨) في اللّسانيَّات ونحو النَّص، د. إبراهيم خليل، دار المسيرة، الأردن، طـ ١، ٢٠٠٧-١٤٢٧، ص ٢٢٨.
(٦٩) تحليل الخِطاب، ج.ب.براون، وج.. يول، ترجمة د. محمد لطفي الزليطني، ود.منير التريكي، المملكة العربية السعودية- الرياض، ص ٣٦.
(٧٠) نحو النَّصّ، اتّجاه جديد في الدَّرس النَّحوي، د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشَّرق- القاهرة، طـ ١، ٢٠٠١، ص ١١٦ بتصرُّف.
(٧١) النَّص والخطاب، والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمَّام حسَّان، عالم الكتب، القاهرة، طـ٢، ٢٠٠٧م، ص ٣٢٠.
(٧٢) نسيج النَّص، بحث فيما يكون به المفوظ نصًّا، الأزهر الزنّاد، المركز الثّقافي العربي، طـ١، ١٩٩٣م، ص١١٦.
(٧٣) انظر دراسات لُغويَّة تطبيقيَّة في العلاقة بين البنية والدَّلالة، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب- القاهرة – طـ ١، ٢٠٠٥، ص ١٦٣.
(٧٤) نسيج النَّصّ، مرجع سابق، ص ١٣٤.
(٧٥) قيمة التّكرار عند شعراء الحداثة المعاصرين، عصام شريح، مجلة رسائل الشّعر، WWW.Poetryletters.com

مَسرَد المصادِر والمراجع :

- أحمد عفيفي، نحو النَّصّ، اتّجاه جديد في الدَّرس النَّحوي، مكتبة زهراء الشَّرق- القاهرة، طـ ١، ٢٠٠١م.
- إبراهيم خليل، في اللّسانيَّات ونحو النَّص، دار المسيرة، الأردن، طـ ١، ٢٠٠٧-١٤٢٧هـ.
- ج.ب. براون، وج. يول، تحليل الخِطاب، ترجمة د. محمد لطفي الزليطني، ود.منير التريكي، المملكة العربية السعودية- الرياض.
- جورج يول، التَّداوليَّة، ترجمة قصيّ العتابي، دار الأمان، الرّباط، ٢٠١٠.
- جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامَّة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، ترجمة: قينيني.
- خالدة سعيد، حركيَّة الإبداع (دراسة في الأدب العربيّ الحديث)، دار الفكر، بيروت، طـ ٣، ١٩٨٦م.
- خليفة بوجادي، في اللّسانيَّات التداوليَّة مع محاولة تأصيليَّة في الدرس العربي القديم، جامعة سطيف، الجزائر.

- دومينيك مانقونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخِطاب، ترجمة محمد يحياتن، الدَّار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، طـ ١، ٢٠٠٨م.
- روبرت دي بوجراند، النَّص والخطاب، والإجراء، ترجمة د. تمَّام حسَّان، عالم الكتب، القاهرة، طـ٢، ٢٠٠٧م.
- الأزهر الزّناد، نسيج النَّص، بحث فيما يكون به المفوظ نصًّا، المركز الثّقافي العربي، طـ١، ١٩٩٣م.
- سعيد حسن بحيري، دراسات لُغويَّة تطبيقِيَّة في العلاقة بين البنية والدَّلالة، مكتبة الآداب- القاهرة – طـ ١.
- عبد السّلام هارون، الأساليب الإنشائيَّة في النَّحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٨١م.
- فان دايك، النَّصّ والسِّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتَّداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠م.
- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصِر، دار المعرفة الجديدة، مصر، ٢٠٠٢م.
- مسعود صحراوي، التَّداوليَّة عندَ العلماء العرب، دار الطَّليعة، بيروت، طـ١، ٢٠٠٥م.
- نجيب محفوظ، المجموعة القصصيَّة (همْس الجُنون)، دار الشّروق، طـ ١، ٢٠٠٦م.

المجلات والمقالات:

- عامر رضا، سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي، مجلّة الواحات للبحوث والدّراسات، مجلّد ٧، العدد ٢، ٢٠١٤م.
- عصام شريح، قيمة التّكرار عند شعراء الحداثة المعاصرين، مجلة رسائل الشّعر، WWW.Poetryletters.com
- ليلى آل حمَّاد، المقاربة التَّداوليَّة، قضية لغويّة، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود.
- محمد عبيد الله، نجيب محفوظ والقِصَّة القصيرة، مقال منشور بموقع www.startimes.com مُتاح بتاريخ ١٨ ديسمْبر ٢٠١١م.
- مسعود صحراوي، الأفعال الكلاميَّة عندَ الأصُولِيِين، مجلة الدِّرَاسَات اللُّغَويَّة، العدد الثّاني، ربيع الثاني ١٤٢٥هـ- سبتمبر ٢٠٠٤م.